التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 135 السنة السابعة عشر - فبراير 2019

برنامج الحكومة أمام البرلمان

خطة عمل أم إعلان نوايا

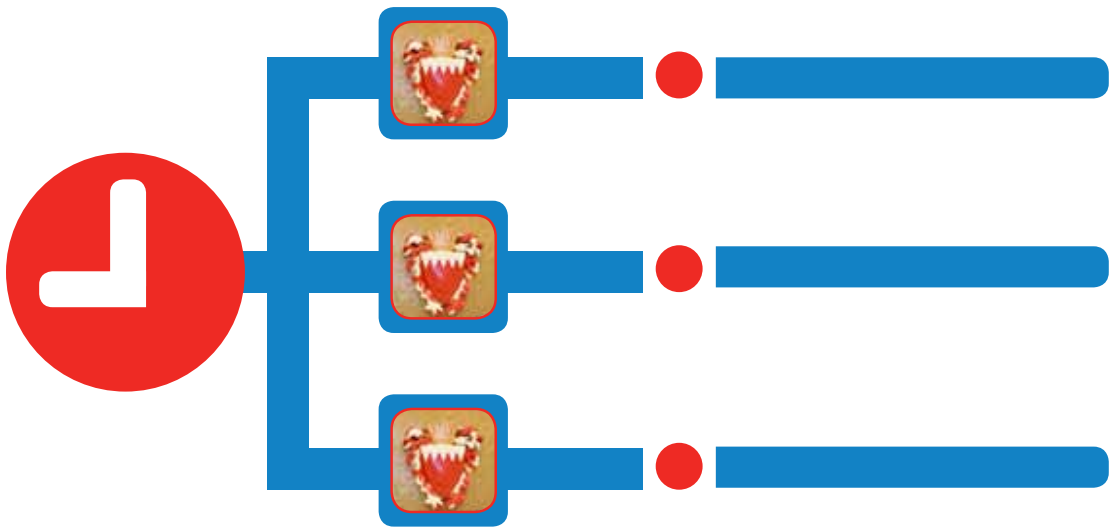

برنامج الحكومة

تداعيات الدولة الريعية

09

جاسم مراد.. وداعاً

17-14

مَنْ هُم أصحاب السُتراتُ الصَفْراء؟

20-18

موقفنا

بين النواب والحكومة والناس

برنامج الحكومة الذي وافق عليه مجلس النواب بأغلبية كبيرة، بعد نقاش محكوم بالوقت الضيق الذي تفرضه آليات عرض وإقرار هذا البرنامج من المجلس، ظلّ رغم بعض التعديلات التي أدخلها الفريق البرلماني المفاوض، إلا أنها تظل محدودة وجزئية لا تغير من الطابع شديد العمومية والغموض الذي يسم هذا البرنامج، والذي لا يتضمن خططاً واضحة إزاء التحديات الاقتصادية والاجتماعية التي تواجهها البحرين حالياً وفي الأفق المستقبلي المنظور وحتى غير المنظور، حيث لا تشي الأمور إلا بالمزيد من الصعوبات.

من الواضح أن الحكومة إرتأت أن تقدم برنامجها بهذه الصياغة بالذات، ليكون خالياً من الالتزامات وضوابط العمل، ويمنحها هامشاً واسعاً للمناورة، عند أي مساءلة قادمة من قبل النواب لعملها أو لعمل أي وزير من أعضائها، وهذه بداية لا تحمل نذراً طيبة في العلاقة المنشودة بين الحكومة ومجلس النواب، الذي هو في المجمل أفضل في التركيبة، ولو بصورة جزئية ومحدودة، من المجلس السابق له، ولكن قيام أعضائه بالدور المنتظر منهم يتطلب أيضاً تعاوناً من الحكومة.

منذ بدء الحياة النيابية الجديدة في البحرين عام 2002 ونحن نطالب بتوسيع الدور الرقابي والتشريعي لمجلس النواب، وإزاحة الكثير من العقبات والنصوص التي تحد من هذا الدور سواء في الدستور نفسه أو في قانون مجلس الشورى والنواب، وكذلك اللائحة الداخلية للمجلس. وتجربة الفصول التشريعية السابقة أكدت على أهمية ذلك إن أردنا للتجربة النيابية في البحرين أن تتطور، حتى ولو بصورة تدريجية، حتى يستطيع المجلس أن يكسب مهابته ومصداقيته أمام الشعب.

إن مستقبل عملية التحول الديمقراطي وآفاقها مرهون بمقدار تعزيز دور السلطة التشريعية والفصل الحقيقي للسلطات الثلاث، وتفعيل أدوات وآليات الرقابة الشعبية والبرلمانية على الأداء الحكومي، بوصف ذلك شرطاً أساسياً لولوج طريق بناء الدولة الدستورية المنشودة والتي كافح شعبنا في سبيلها طويلاً، وبصورة ملحة فإن ذلك يزداد أهمية من زاويتين مهمتين أولاهما أهمية التغلب على تداعيات وارتدادات الأزمة السياسية التي عصفت بالبلاد منذ 2011، وتجاوزها، وتتصل الثانية بالوضع الاقتصادي والمعيشي للبلاد والعباد الآخذ في المزيد من التفاقم.

وتتوجه الأنظار أيضاً نحو دور الحركة الشعبية في دعم هذا التوجه، ومواصلة الضغط على النواب لطرق القضايا الحيوية، حيث للموقف الشعبي الداعم والضاغط أبلغ الأثر في حمل أعضاء المجلس على اتخاذ المواقف الداعمة لحقوق الناس والملبية لمصالحهم، وعدم إضاعة الوقت في تفاصيل غير جوهرية أو قضايا هامشية.

التقدمي

ملتقى التقدمي يناقش: ماذا بعد تقرير ديوان الرقابة الخامس عشر

ضمن ملتقاه الأسبوعي أقام المنبر التقدمي ندوة بعنوان: تقير الرقابة الخامس عشر: ماذا بعد، تحدث فيها كل من النائب يوسف زينل والباحث الاقتصادي د. جعفر الصائغ، حيث سلّط النائب زينل الضوء على ما يحفل به هذا التقرير من أوجه الفساد بالمؤسسات والوزارات دون أن يخضع أحداً من المسؤولين المتورطين فيه لأي وجه من وجوه المساءلة، على مدار أعوام، وأكدَّ على أهمية تشكيل لجان تحقيق برلمانية حول التجاوزات التي اوردها ديوان الرقابة المالية والإدارية في تقريره الأخير.

من جانبه أشاد د.جعفر الصائغ بالحرفية والمهنية في كتابة التقرير، وأهمية ما يقدمه من معطيات لكشف الفساد، فصفحاته مليئة بالتجاوزات، التي تضر بالمال العام، ويزيد من صعوبة الوضع الاقتصادي، حيث يتحمل المواطنون أخطاء وتجاوزات الفاسدين، التي أعطى أمثلة عليها واردة في التقرير.

وعقب ذلك نقاش من الحضور سلطت فيه الأضواء على جوانب مختلفة ذات صلة بالتقرير ومحتواه وضرورة ايجاد آليات محاسبة من أجل تحقيق الغاية من وراء تشكيل ديوان الرقابة ومن التقارير السنوية التي تصدرها.

رحيل الفنانة منيرة موصلي

شارك الرفيق فاضل الحليبي نائب الأمين العام للشؤون التنظيمية في الفعالية التي أقامتها الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني مساء 22 يناير الماضي، إحياء لذكرى الفنانة االتشكيلية السعودية منيرة الموصللي، حيث دوّن كلمة في سجل التعازي عبرّ فيها التقدير لعطاء هذه الفنانة التي برحيلها خسرت الحركة الفنية التشكيلية في السعودية وفي المنطقة الخليجية عامة إحدى أبرز رائداتها المتميزات والمبدعات.

وقد وصف الكاتب السعودي زكي أبو السعود الراحلة بأنها فنانة تشكيلية طليعية، ممن امتلكن روحاً وطنية وفكراً نيراً، وقدّمن عطاءاً كبيراً في سبيل تنمية الحركة الفنية التشكيلية وخاصة بين النساء.

وأوضح أن ذلك قد "انعكس في إبداعاتها الفنية التي عبّرت فيها عن مشاعرها الوطنية وفكرها التحرري من مختلف القضايا الاجتماعية ومن ضمنها قضية المرأة السعودية، والدعوة لأن تتبوأ مكانتها اللائقة والطبيعية في مسيرة الإنماء والتحديث الوطني، كما حملت في اعمالها إيمانها العميق بقضايا الشعوب وخاصة الشعب الفلسطيني الذي جسدت معاناته ونضاله في عدد من اعمالها الفنية الكبيرة.

نهـج الضـرائـب وهـواجـس المـواطنيـن

ناقش النائب سيد فلاح هاشم عضو كتلة «تقدّم» والمحامي حسن اسماعيل موضوع الضرائب عامة، وضريبة القيمة المضافة خاصة، وأثر ذلك على الحياة المعيشية للمواطنين، وذلك في ندوة استضافها ملتقى التقدمي الأسبوعي.

النائب هاشم قدّم تعريفات للضريبة المضافة وتوقف عند التأثيرات الناجمة عنها على المواطنين، وكذلك على المستثمرين، وأشار إلى الإرادة الجماعية لمجلس النواب تأجيل تطبيق هذه الضريبة من أجل اخضاعها للمزيد من المناقشة والتحضير الجيد كما تجلى ذلك في الاقتراح برغبة الذي صوت عليه كل أعضاء المجلس، لكن الحكومة لم تأخذ به.

المحامي حسن اسماعيل أكدّ على الهواجس التي تسيطر على المواطنين من تداعيات تطبيق هذه الضريبة على حياتهم وأوضاعهم المعيشية، مؤكدا أنه من وجهة النظر القانونية كان بالإمكان تا<يل تطبيق هذه الضريبة، خاصة وأنه لم تكن هناك ضرورة لتمريرها من المجلس السابق في فترة فض انعقاد المجلسين في 7 أكتوبر –2018.

وقدّم المحامي اسماعيل تأطيراً قانونياً للموضوع من خلال عرض مواد في الدستور وفي اللائحة الداخلية لمجلس النواب.

فضفضة

عيسى الدرازي

بطالة الأطبـــاء

لدى مسؤولي القطاع الصحي في البلد توجه معلن وصريح نحو ما يسمى السياحة العلاجية وجعل البحرين وجهة سياحية للعلاج. أحد المسؤولين قال إن «البحرين تولي أهمية كبرى لتعزيز السياحة العلاجية حيث تتواجد مقومات هذه النوعية من السياحة من خلال الإمكانيات الطبية الجيدة والكفاءات البشرية المؤهلة والمدربة والتخصصات الطبية المتوافرة والخدمات المقدمة للمرضى (...) مما يعطي مؤشراً ايجابياً عن إمكانية تنامي وتطوير هذه المقومات والإمكانيات لتصبح مصدراً مهماً من مصادر تعزيز الاقتصاد الوطني.».

مثل هذه التصريحات ينظر لها على أنها إيمان بكفاءة الكوادر الطبية الوطنية وما ستناله من دعم ومساندة من أجل استلام مواقعها في مختلف المؤسسات الطبية والصحية المحلية.

تصريحات المسؤولين في القطاع الصحي تختلف عن الواقع الفعلي، ففي الوقت الذي يبشرون فيه بالتوجه لتأسيس سياحة علاجية في البحرين، نرى هناك شكاوى متزايدة من العاملين في المجال الصحي: ممرضين وأطباء لعدم وجود شواغر لهم في المؤسسات الطبية العامة، فيضطرون للعمل في المؤسسات الطبية الخاصة قابلين بمضض بما يعنيه ذلك من قلة راتب وقلة مميزات وساعات عمل مضاعفة أحياناً.

غريبة تلك التصريحات التي تنادي بالتوجه نحو السياحة العلاجية، والبلد بات يعج بالمؤسسات الطبية الخاصة التي يديرها ويعمل فيها أجانب، ليست هذه الصورة الصحيحة نحو تعزيز الاقتصاد الوطني حسب تصريحات مسؤولي قطاع الصحة، فمثل هذه التوجهات لا تبني اقصاداً وطنياً ولكنها تعني بلا شك زيادة أرصدة المستثمرين بغض النظر عما يقدم من خدمات صحية طالما كانت باباً واسعاً للربح.

تعزيز الاقتصاد الوطني عبر السياحة العلاجية يجب أن يكون أساساً بتبني الكوادر الطبية الوطنية وزرعها في مختلف المؤسسات الطبية العامة والخاصة وأن لا يكون هناك أي عاطلين من الكفاءات في المجال الصحي، فليس من المنطق أن يكون هناك أطباء وممرضين عاطلين عن العمل في بلد تعاني من ضغوط على خدماتها الصحية بسبب عدم ملائمة العدد الهائل من المرضى المراجعين بالعدد القليل من الكوادر الطبية. بلد مثل البحرين لا يجب أن يعاني من بطالة الأطباء والحلول موجودة ومنظورة وتنتظر قراراً شجاعاً لتنفيذها وجعل الطبيب البحريني خياره الأول.

حفل تكريم للفنان خليل الهاشمي

«أنا لم أفعل شيئاً سوى استلهام ما قاله الشهيد سعيد العويناتي: «إليك أيها الوطن .. إليك أيتها الحبيبة».

بهذه العبارة الموجزة والمعبرة اختتم الفنان المبدع خليل الهاشمي حفل التكريم الذي أقامته اللجنة الفنية والثقافية في المنبر التقدمي مساء الأحد الماضي 27 يناير 2019، تقديراً لعطائه الفني الممتد منذ عقود.

حضر الحفل وجوه بارزة من الحركة التشكيلية في البحرين، وشخصيات مجتمعية مرموقة تعبيراً عن تقديرها للفنان الهاشمي، ولبصمته الكبيرة في منجز الفن التشكيلي في البحرين وخارجها أيضاً حيث اقتنيت أعماله في عدة بلدان، عربية وغير عربية، وعرضت في الحفل نماذج من المنحوتات الخشبية الرائعة للفنان، كما تمّ عرض شريط مصور لجانب كبير من ابداعاته.

ابتدأ الحفل بكلمة الأمين العام للمنبر التقدمي الرفيق خليل يوسف التي أشاد فيها بعطاء الفنان، وبما للوحاته ومنحوتاته من أهمية فنية، وبدوره في حمل اسم البحرين إلى خارج مساحتها الصغيرة، وقال إن هذا التكريم يعبر عن نهج «التقدمي» المنحاز للثقافة والفن والإبداع في وطننا الحبيب.

ثم قدّمت عريفة الحفل الشابة أريج الجمري المتحدث الفنان إبراهيم غانم الذي سلّط الضوء على التجربة الفنية للفنان الهاشمي، مسلطاً الضوء على منحوتاته التي نصبت إحداها عند مدخل مدينة المحرق في طريق المطار.

وللفنان المعروف عباس الموسوي كانت كلمة تحدّث فيها عن بداية معرفته بالفنان في بيت الفنان الراحل أحمد الباقر حيث تواصلت علاقة الصداقة والزمالة الفنية بينهما بعد تأسيس جمعية البحرين للفنون التشكيلية، والعمل المشترك بينهما في المجال التشكيلي، وتوّقف عند اهتمام الهاشمي بالحمامة كرمز للسلام في لوحاته ومجمل أعماله، وعند تأثر الهاشمي بالمدرسة الفنية الراقية في روسيا التي درس فيها، مشيراً إلى أنه بصدد تكريم الفنان الهاشمي في مرسمه.

وتحدث الفنان سلمان زيمان عن علاقة الفنان خليل الهاشمي مع فرقة «أجراس» الموسيقية على مدار سنوات، حيث أصبحت رسومات الفنان الهاشمي أغلفة لاشرطة الفرقة، كما أنه صمّم ملصقات مهرجانات «اجراس».

وكان الرفيق د.علي البقارة رئيس اللجنة الثقافية والفنية آخر المتحدثين، حيث أشار إلى مشوار الفنان منذ أن كان طالباً يدرس الفن في مدينة لينغراد في الاتحاد السوفيتي السابق، متوقفاً أمام خليل الهاشمي الإنسان والفنان المبدع، مذكراً بالملصقات التي صممّها الرفيق خليل في يوبيلات تأسيس جبهة التحرير الوطني، وكذلك تصميمه ل»لوغو» المنبر التقدمي .

الرفيق د. إسماعيل القصاب .. روح المناضل والإنسان

عبدالجليل النعيمي

قبل قرابة أربعين عاما دار بيننا في موسكو حديث عن قضايا حقوق الإنسان، وكان هذا مجال نضالي جديد بالنسبة لنا. الدكتور إسماعيل القصاب بدا متحفظاً بعض الشيئ: «ألا يهدف الغرب من وراء التركيز على قضايا الأفراد صرف الاهتمام عن قضايا الشعوب وحركات التحرر الوطني؟ واستذكر بيتا لشاعر وأديب القرن التاسع عشر ديب إسحق:

قتل امرؤ في غابة جريمة لا تغتفر
قتل شعب آمن مسألة فيها نظر

وحين جاء خبر وفاته يوم 10 ديسمبر 2018 تذكرت حديث موسكو وكأنه بالأمس. فهذا اليوم هو أيضا اليوم العالمي لحقوق الإنسان. وها هو د. إسماعيل ظلّ وفياً لقضية وطنه وشعبه ولقضايا حقوق الإنسان وحقوق المواطنة في بلاده والعالم. هذا أحد الأمثلة على حرص أبي نضال على دقة المفاهيم والتعريفات وصحة استخدامها. وكان دائما على استعداد لأن يغوص في كلاسيكيات الأدب الثوري ليجد ما يسند أو يدحض رأياً ما. وفي الممارسة كان حريصاً على أن تظل الشعارات السامية منتصبة أمامه. ولعله لهذا أسمى إبنه البكر «نضال» على إسم مجلة «النضال» التي كانت تصدرها «جتوب» في الخارج، وتذكيراً بالمهام النضالية الماثلة. وقد ظلت ماثلة .. فحين مرت «جتوب» بواحدة من أصعب المحن أنجز الرفيق إسماعيل القصاب مهمة خطرة في إعادة الربط بين نضال الداخل والخارج.

يستذكر المرء في تاريخ الرفيق والمناضل أبي نضال عمق الجانب الإنساني فيه. لا أزال أذكر يوم التقيتهما هو والعزيزة د.هدى أثناء زيارتهما لدبي بعد افتراق دام عقودا من السنوات. حدثاني بتفاصيل عن ابني الذي لم أره منذ كان في السادسة من عمره ليطمئن قلبي إلى أن ولدي وإن غاب أبوه وماتت عنه أمه، إلا أن رفاقا أمثال إسماعيل وهدى لم يغفلوا عن متابعة أموره. «أجمل ما في هذه السفرة أننا التقيناك، وليكن اللقاء القادم في البحرين» – قالاها في لحظة وداع تباعدنا بعدها لعدة سنوات أخرى، حتى صدق حدسهما وحان اللقاء الجديد على أرض الوطن بعد عودة طيور النورس إلى أعشاشها. وجدتهما بيتي وعائلتي، كنت أزورهما كثيرا. لا نستذكر ماضينا فقط، بل ونبحث واقعنا ومستقبل أوضاعنا. كان أبو نضال رجل النضال على أكثر من جبهة. فمع بداية الإصلاح السياسي ساهم بنشاط على المستوى السياسي في تأسيس المنبر التقدمي وعلى مستوى المجتمع المدني في تأسيس جمعية البحرين للبيئة، إضافة إلى عمله كطبيب، حيث تميز بخدمة مرضاه وقاصديه.

كنت في فترة صداقتنا الأولى أظن بأن صديقي إسماعيل يصغرني سناً، حتى اكتشفت العكس ذات يوم. يعود هذا إلى أن أبي نضال المفعم حيوية والمحب للحياة دائما كان أقوى من عاديات الزمن. لكن الزمن المتربص اختار لحظة الضعف فانقض، ليختطفه منا.

لترقد مطمئنا أبا نضال. فرفاقك يواصلون المسيرة .. وذكراك دافع.

محطات

يحررها: خليل يوسف

يا زمان البحرينى أولاً ..!

هل تذكرون شعارات «البحرينى أولاً»، و«البحرينى الخيار الاستراتيجي فى سوق العمل» وكل الشعارات التى صبت فى نفس الإطار التى تمَّ تداولها على مدى سنوات، وهل تذكرون الإستراتيجيات والمبادرات التى استهدفت جعل المواطن البحرينى الخيار الأول فى سوق العمل؟، وهل تذكرون حجم ما أهدر من اموال ضخمة على كل ذلك؟

الوضع اليوم بات مختلفاً وكأن البحرنة قد تم شطبها من دائرة الإتمامات والأولويات، إلى درجة أننا وجدنا من بشرّنا من المسؤولين بأن البحرينى لم يعد أولاً فى سوق العمل، ولا إلزام لأصحاب العمل بإعطاء اولوية التوظيف للبحرينى، بل وجدنا مسؤولين يحذرون من مغبة الأضرار والانعكاسات السلبية على بيئة الاعمال والاستثمار بسبب «البحرنة» التي لا تتماشي مع الحرية الاقتصادية ..!

الغريب والعجيب أن يقتصر العزف على أمر البحرنة وتوظيف البحرينيين على وتر الحس الوطنى الذى يجب أن يتحلى به أصحاب الاعمال والشركات لتشغيل البحرينيين!

لذلك ليس غريباً أن نجد تراجعاً فى نسب البحرنة، وسيطرة غير البحرينيين على سوق العمل، وباتت فرص العمل فى سوق العمل البحرينى متاحة لغير البحرينى بذريعة الحرية الاقتصادية ..! ، وكأن البحرنة لا برهان على صلاحيتها، فى اي اتجاه نسير، واي تنمية نستهدف، لا احد يعرف.

لصوص آخر زمن

يقول غسان كنفاني «يسرقون رغيف خبزك ثم يعطونك منه كسرة، ثم يطلبون منك أن تشكرهم» .

والشاعر الإيطالي بريمو ليني قال: «هناك لصوص لا نراهم أبداً وجها لوجه، ويتساءل هل من وجوه لهم يا ترى» ..!

والكاتب الأمريكى جيمي بريسلين يرى أن المبدأ الأول عند اللصوص، إن كل شئ مهما صغر قابل للسرقة ..!

ويقول الفيلسوف اليوناني ايسوب «نحن نشنق اللصوص الصغار، ونأتي باللصوص الكبار إلى السلطة..!

وللأمير الحسن بن طلال مقولة: «أجمل ما فى بلداننا أن اللصوص لا تراهم آيلاً فى أسوار المنازل بل تراهم فى وضح النهار، فى مكاتب فخمة» ..!

تلك نماذج من أقوال عن اللصوص واللصوصية، نأتى بها بعد أن تعددت وتنوعت واتسعت مساحة ومظاهر اللصوصية وتكاثرت أعداد اللصوص وباتوا درجات ومقامات وتخصصات، ووجدنا لصوصاً بالأصالة، ولصوصاً بالوكالة، ولصوصاً باسم الدين، ولصوصاً باسم الوطنية، ولصوصاً يسرقون أحلام وطموحات الناس يعجز القضاء عن توجيه تهم اليهم، وهناك لصوص أوطان، يسرقونها ويدعون بناءها، أما اسرائيل التي يريدون التطبيع معها فهي اللص الأكبر على مستوى العالم .

رسالة إلى النواب ..

نصيحة إلى بعض النواب: كونوا نواباً تمثلون الشعب بحق، ولا تكونوا مثل بعض من سبقوكم نواب الهرج والمرج والرداءة، نواب لا ينطقون، لا يتحركون، لا يؤيدون ولا يعارضون الا بالرموت كونترول.

باختصار لا تكونوا موظفين بمسمى نواب!

إضاءات ..

البحرينيون العاطلون عن «الأمل» ، لازالوا فى انتظار «الأمل» ..!

علينا أن نلاحظ فى أسباب تحول شخصيات هزلية الى شخصيات عامة ومشهورة. دققوا بالعقل المتيقظ فى أسباب ذلك ومدى ارتباطها بصناعة التفاهة.

قالوا إن هناك نقصاً فى الأدوية، وقالوا إن هناك نقصاً فى الموارد، وقالوا ... وقالوا .. وقالوا..

ياترى هل حقاً هناك نقص فى هذا أو ذاك، أم هو مجرد فائض فى اللصوص ..؟!

مهرجون

من بين أسوأ ما نشاهد اليوم ان يتحول بعض من يحسبون كتاباً ومثقفين ودعاة وسياسين فى منطقتنا العربية إلى مهرجين سياسيين ..!

كتلة «تقدّم» تشارك في الاجتماع مع أصحاب سفن صيد الروبيان

شاركت كتلة «تقدّم» في اجتماع ضمّ عدداً من نواب آخرين، مع أعضاء قياديين من نقابتي الصيادين في سترة والمحرق حيث تم استعراض ابعاد المشكلة وتأثير القرارات الصادرة على الصيادين وأسرهم وكذلك على اسعار الروبيات باعتبارها سلعة اساسية مطلوبة.

وما زالت قضية أصحاب بوانيش صيد الروبيان تتخذ لنفسها أبعاداً اجتماعية ومعيشية مؤثرة، حيث تستمر قرارات منع الصيادين من مزاولة مهنة صيد الروبيان تراوح في مكانها على الرغم من تواصل البحارة وبعض أعضاء مجلس النواب مع الجهات المعنية بتلك القرارات وعلى الأخص مع وكيل وزارة الأشغال للبلديات والثروة السمكية والذي بحسب البحارة ابدى تفهما لقضيتهم.

وفي نهاية الاجتماع المذكور تمَّ الاتفاق على أن تتابع اللجنة البرلمانية المعنية قضية البحارة مع الجهات المعنية بعد أن رفع مجلس النواب منذ اكثر من اسبوعين قضيتهم إلى الحكومة عن طريق اقتراح برغبة مستعجلة، بما يسهم في حل الاشكال القائم ويسمح بعودة البحارة إلى مهنتهم ويعزز من الأمن الغذائي للمواطنين والمقيمين، وهو ما يتطلب، كما اتفق في الاجتماع على ضرورة تنظيم مهنة الصيد وإيجاد حلول جذرية تحمي مصادر رزق الصيادين وتحمي البيئة البحرية من أساليب الصيد الجائر.

لقاء تنسيقي مع نقابة عمال بتلكو

ضمن متابعاتها للشأن العمالي وقضايا العمال اجتمعت كتلة «تقدّم» مع ممثلين عن نقابة عمال بتلكو بغرض تنسيق المواقف في ما يرتبط بالقضايا العمالية وظروف عمل العاملين في الشركات والمصانع الكبرى في البحرين وللوقوف عن كثب على طبيعة الأوضاع العملية بتلك الشركات.

وخلال اللقاء استعرض ممثلو النقابة بعضاً من مخاوفهم فيما يتصل بتوارد بعض الأراء المتعلقة باعادة هيكلة مفترضة لشركة بتلكو ومخاوف العاملين فيها. وقد أبدت كتلة «تقدّم» مساندتها الكاملة للعاملين في الشركة بما يخدم مصالح العمال والشركة على حد سواء، باعتبار بتلكو إحدى الشركات الرائدة في مجال الاتصالات على مستوى البحرين والمنطقة والتي شيّدت بسواعد العمالة البحرينية، وبما ساعد على خلق العديد من الكفاءات والكوادر في مجال الإتصالات، وخلقت فرصاً معيشية وتنافسية ايجابية بالنسبة للجميع، كما تمت مناقشة ملف العمالة البحرينية في الشركة من ذوي العقود المؤقتة وضرورة تثبيتهم بعقود دائمة وباركت الكتلة التواصل القائم بين النقابة وادارة الشركة لإيجاد حلول في هذا الملف.

تراجع الخدمات الصحية

جواد المرخي

كانت الخدمات الصحية تسير بشكل جيد، وقد تجلى ذلك في التوسعة الكبيرة في مرافق مستشفى السلمانية وبناء مستشفيات كبرى والعديد من المراكز الصحية في مختلف المحافظات، هذا مع بروز واضح للكوادر الطبية والتمريضية في مختلف التخصصات والمجالات الفنية والعلاجية.

وتزامن هذا مع تطوير تعليم الطب والتمريض من خلال مدرسة التمريض، وكلية الطب في جامعة الخليج العربي، ثم افتتاح الجامعة الإيرلندية لدراسة الطب، وترافق ذلك أيضاً مع بناء مستشفى الملك حمد في المحرق.

إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تراجعاً كبيراً في مسار تطور الخدمات الصحية ابتداء من نقص الكوادر الطبية الوطنية وأعداد المرضين، وتزايد الاعتماد على جلب الموظفين الأجانب في وزارة الصحة، وكذلك فتح الأبواب مشرعة لاستثمار الأجانب في القطاع الخاص.

هذه التغيرات مؤشر على تدني مستوى الخدمات الصحية وحجم تأثيرها على مئات الألوف من المرضى المراجعين في المستشفيات والمراكز الصحية، وقد نشر الكثير حول ذلك في صحافتنا المحلية وعبر وسائل الاتصال الاجتماعي، حيث تزداد الشكوى عن معاناة المرضى لأسباب مختلفة ومنها اختفاء الكثير من أدوية الأمراض المزمنة التي تحتاجها قطاعات واسعة من المرضى من صيدليات وزارة الصحة بما فيها في مستشفى السلمانية نفسه، ومنها أدوية أمراض مثل الصدفية والسكلر والسيلان وارتفاع السكري والضغط والكولسترول.. الخ.

دفع ذلك بالمرضى للجوء للمستشفيات الخاصة والتي بدورها قد استحوذت على أطباء أكفاء تمّ حملهم على ترك أعمالهم في وزار ة الصحة لأسباب مختلفة، مما جعل هذه المستشفيات الخاصة ترفع أسعارها بشكل لافت هذا مع رفع أسعار الادوية.

ومن المشكلات الأخرى اكتظاظ المرضى في مستشفى السلمانية خصوصاً بقسم الطوارئ حيث أصبح المرضى محشورين في الممرات بسبب نقص في الاسرة والأطباء والممرضين بالإضافة للمواعيد بعيدة المدى التي تصل احياناً لما بعد ثمانية شهور كما ساهم غلق قسم الولادة في جدحفص في زيادة الضغط على قسم الولادة في السلمانية.

ويعزي الرأي العام ووسائل الإعلام الأمر إلى ارتفاع حجم الفساد المالي والإداري في وزارة الصحة والذي تُدّون تفاصيله باستمرار في تقارير الرقابة المالية سنوياً، بما فيها التقرير الأخير، والتمادي في التجنيس دون أية ضوابط، مما يزيد الضغط على الخدمات ومنها الخدمات الصحية، إضافة إلى الزيادة في نسبة العمالة الأجنبية والتي تستفيد غالبيتها من الخدمات الصحية لأنها غير مشمولة بالضمان الصحي.

وتتساءل الناس هل هذا التدهور في الخدمات الطبية مقصود لحملهم على القبول بخصخصة القطاع الطبي، وهو أمر إذا تمّ فسيكون كارثة على الشعب، لأن غالبيته هم من البسطاء مثل العمال ذوي الدخل المحدود والمتوسط مع الآلآف من المتقاعدين والعاطلين عن العمل والفقراء والمحتاجين خصوصاً في ظل غلاء المعيشة الفاحش وزيادة نسبة الضرائب وفرض ضرائب جديدة كضريبة القيمة المضافة ورفع الدعم عن العديد من المواد الغذائية.

حقوق المسرحين من «أوال الخليج» على طاولة وزارة العمل

تواصلت كتلة «تقدّم» البرلمانية بشكل مكثف خلال الفترة الماضية مع الجهات المعنية بوزارة العمل والتنمية الاجتماعية، من أجل البحث عن حلول مرضية للعمال المسرحين من شركة اوال الخليج والبالغ عددهم 450 عاملا بينهم 120 عاملا بحرينياً، حيث توصلت الوزارة في نهاية المطاف إلى تفاهمات مع العدد الأكبر من العاملين في الشركة، بما يحفظ الحد الأدنى من حقوقهم وحقوق العمال الذين لا زالوا يمارسون عملهم في بقية اقسام الشركة، وبما يحفظ بقاء واستمرارية الشركة التي تعتبر واحدة من اقدم واهم الشركات في مجال عملها.

متابعة لقضية خريجي تخصصات التمريض العاطلين

على صعيد آخر اجتمعت كتلة «تقدّم» مع مجموعة كبيرة من خريجي تخصصات التمريض الباحثين عن عمل، حيث استعرض الخريجون معاناتهم في البحث عن فرص عمل في القطاعين العام والخاص، والمنافسة الشديدة التي يواجهونها من العمالة الأجنبية وعدم وجود برامج احلال للعمالة الوطنية، وفي نهاية الاجتماع تمّ الاتفاق على التواصل في اجتماعات قادمة على أن يقدّم الخريجون ملفاً تفصيلياً حول قضيتهم والتخصصات التي يحوزونها، وحصر أعداد العاطلين منهم بما يساعد الكتلة على متابعة قضيتهم مع الجهات المعنية بايجاد حلول واقعية تحفظ لهم حقوقهم في العمل والعيش بكرامة وعلى قاعدة إعطاء الأولوية للعمالة والكفاءات البحرينية.

ملف خريجي كليات الطب من الصين نحو مناقشة برلمانية قادمة

استمراراً لطرحها القوي من تحت قبة البرلمان تجاه قضية خريجي الجامعات الصينية من أصحاب التخصصات الطبية، اجتمعت كتلة «تقدّم» مجددا مع ممثلين عن الخريجين من تلك الجامعات، حيث تمّ استعراض أبعاد المشكلة وتداعياتها، وقدّم ممثلوا الخريجين ملفاً موسعاً وموثقاً حول تخصصاتهم العلمية ومناهجهم الدراسية وطرق التدريس المتقدمة في تلك الجامعات، وقد وعد أعضاء الكتلة بمتابعة الملف من خلال القنوات المعنية، حيث باشروا تقديم الملف كاملاً للجنة البرلمانية المختصة لمزيد من المتابعة والاستماع إلى وجهة النظر الرسمية ووجهة نظر الخريجين وتقديم تصوراتها وتوصياتها لاحقاً لمناقشة موسعة قادمة تحت قبة الرلمان.

مطرقة البرلمان

مجلس النواب.. جدية الطرح ووحدة المواقف

عبد النبي سلمان

على مدى أكثر من ست جلسات، ناقش مجلس النواب البحريني حتى الآن العديد من القضايا المهمة والتي تدخل في صلب اهتمامات الناخبين والشارع البحرين بوجه عام، والملاحظ أيضا أنها في مجملها قضايا قدمت بداية بطريقة الاقتراح برغبة بصفة مستعجلة، مما يؤشر بوضوح على رغبة النواب في استجلاء حلول سريعة وعاجلة لها، باعتبارها تمثل هما ثقيلا لفئات او شرائح مجتمعية مهمة، كما حدث مع الاقتراح المستعجل بتأجيل تطبيق ضريبة القيمة المضافة، حيث لم يكن قد تبقى، حينها، سوى أقل من عشرة أيام على موعد البدء بتطبيقها، وكان مؤملاً أن تستوعب الجهات الرسمية ثقل وطأة تطبيق تلك الضريبة على كاهل المواطنين المطحونين بارتفاع الأسعار وزيادة الأعباء المعيشية.

وبالمثل تناول المجلس قضية وقف سفن صيد الروبيان ومحنة الصيادين التي تجاوزت الشهرين، وفي عز موسم الصيد الذي شارف على الانتهاء، وبخسائر كبيرة للصيادين وأسرهم وخسائر مادية ايضا للمستهلكين، كما طرحت قضية خريجي كليات الطب من الجامعات الصينية والموقف غير المفهوم من قبل وزارة التربية والتعليم في رفض معادلة شهاداتهم.

قضية أخرى ناقشها المجلس هي المتعلقة بتوظيف وتثبيت الأطباء الجدد في مجمع السلمانية الطبي وضرورة اعطاء الطبيب البحريني الأولوية في التوظيف والترقي، على خلاف ما هو حاصل الآن حيث تعطى الأولوية للأجانب، في ظل صمت الحكومة ووزارة الصحة تحديدا عن الإجابة على تساؤلات المئات من الأطباء والطبيبات البحرينيات وهي قضية سنتابع حيثياتها في الجلسات القادمة.

الملاحظ أن تناول تلك القضايا والذي غطته وسائل التواصل الاجتماعي قد حقق معطيات ايجابية يجب التوقف عندها، وأولها انها مثّلت اجماعا من قبل غالبية بل كل أعضاء مجلس النواب ودون أدنى حساسية كان يمكن ان تحدث فيما لو تخيلنا مناقشتها في فترات سابقة لا يريد أحد ان يعود اليها، مما يعني اعطاء التوجهات الوطنية الجامعة دفعة ستنعكس ايجابا، كما اقدر، على مزاج الشارع العام في البحرين وهذا أمر في غاية الأهمية.

القضية الأخرى التي يجب الالتفات اليها أن طرح مثل تلك القضايا وتعطش الشارع لمتابعتها يشي بنوع من الثقة التي يمكن ان تزداد تعززا في دور البرلمان فيما لو استمرّ في ذات الجدية والمسؤولية تجاه مختلف القضايا الوطنية الجامعة.

أما القضية الثالثة والأخيرة التي يمكن متابعتها فهي ان نوعية وطبيعة التعاطي الرسمي بات بالفعل على المحك، حيث لا يكفي الحكومة التذرع بقلة حيلة الميزانيات المرصودة كما حاولت ان تقول ذلك اثناء مناقشة برنامج عمل الحكومة الذي خلا من تفاصيل وارقام واضحة، فقضية مثل قضية توقف سفن البحارة، وخريجي الجامعات الصينية وتصديق شهاداتهم، وقضية توظيف وتثبيت الأطباء البحرينيين الجدد وتدريبهم في مجمع السلمانية الطبي وبقية المستشفيات الحكومية، قضايا ليس لها علاقة مباشرة بالميزانيات بل بالحاجة الماسة لقرارات وتوجيهات عليا تأخذ في الاعتبار اولوية مصالح تلك الشرائح على اختلافها والتي تبحث عن حقها في العيش الكريم.

مرئيات "تقدّم" والنائب يوسف زينل حول برنامج الحكومة

المطلوب خريطة طريق لا إعلان نوايا

تقدّم عضوا كتلة «تقّدم» النائبان عبدالنبي سلمان والسيد فلاح هاشم والنائب يوسف زينل بمرئياتهم المشتركة حول برنامج الحكومة المحال إلى مجلس النواب، وتضمنت المرئيات النقاط التالية:

- لا توجد استراتيجية واضحة لدى الحكومة ضمن برنامج عملها لكيفية ضمان الاستخدام الأمثل للموارد وضمان استدامتها للأجيال القادمة، ولا توجد هناك أليات متابعة لحماية وتعزيز موارد الدولة وحماية الثروات الطبيعية.

- إعطاء دور المنظم والشريك بدلاً من المحرك الرئيسي للقطاع العام لا يجب أن يترجم عملياً في بيع أصول الدولة أو الاستثمارات الناجحة، كما حدث في قطاعات الموانئ والاتصالات والمواصلات والصحة أو حتى التعليم في بعض وجوهه، بل يجب أن تضمنه الدولة للحفاظ على أصولها والأهم أن تربط دورها بالحفاظ على ما تقدمه تلك القطاعات من قيمة مضافة حقيقية للاقتصاد الوطني، وعلى رأسها أولوية التوظيف للعمالة البحرينية في تلك القطاعات والتأكيد على نسبة لا تقل عن 60٪ من العمالة الوطنية فيها.

- الاستثمار في المواطنين من خلال تعزيز وتطوير واستدامة الخدمات الحكومية في التعليم والصحة الخدمات الأخرى، يتطلب اشتراط نسبة لا تقل عن 60٪ من المواطنين العاملين في تلك القطاعات بما يخدم عملية الاستقرار الاجتماعي والمعيشي للمواطنين ويحفظ تنمية الطبقة الوسطى باعتبارها عماد التنمية ومحركها الأساسي.

- التوازن المالي لا يجب أن يبنى فقط على الجوانب والإجراءات التي تستهدف مداخيل المواطنين كما حصل مع ضريبة القيمة المضافة بل يجب اتخاذ الخطوات التالية:

- التفكير في ضرائب بديلة لتلك التي تستهدف مداخيل المواطنين وذلك بالتوجه لفرض ضرائب تصاعدية معقولة على الشركات الكبرى والمصانع والبنوك والمؤسسات المالية بدلاً من المواطنين وسيوفر ذلك مئات الملايين والمداخيل الكبيرة للدولة ويمكن أن تكون متدرجة وعلى مراحل زمنية معلنة، في حالة تطبيق ذلك ستكون الأوضاع الاجتماعية والمعيشية أكثر استقراراً بالنسبة للمواطنين.

- التفكير في إيجاد ضريبة على التحويلات المالية للأجانب وذلك سيحقق عوائد مالية ممتازة والأهم أنه اجراء سيخفض من حجم التحويلات ويعزز تدويرها في داخل البلاد.

- لا يجب أن نبيع أصول الدولة الناجحة تحت ذريعة الخصخصة كثير من دول العالم تيقظت لذلك وأوقفت بيع أصولها، كذلك الخصخصة لا يجب أن تكون على حساب العمالة والكفاءات الوطنية ويجب أن تكون الخصخصة مدروسة بعناية وتوضع لها اشتراطات أهمها الحفاظ على نسبة جيدة من العمالة الوطنية أولاً وكذلك نسبة من رأس مال الوطني في تلك المشاريع.

- المطلوب من البرنامج أن يكون خطة عمل وخارطة طريق لمواجهة التحديات القادمة وليس مجرد إعلان نوايا.

- مفهوم الخصخصة يجب أن يتركز حول تقديم تسهيلات ودعم للقطاع الخاص في الاقتصاد الوطني عبر إقامة مشاريع إنتاجية وليس بيعاً للأصول والاستثمارات الوطنية.

- أن تعمل الحكومة على استقطاب الاستثمارات المباشرة (FDI) على أن تكون متنوعة وانتاجية وأن لا تحصر فقط في صناعة النفط والغاز وبما يوفر قيمة مضافة للاقتصاد.

- لابد من وجود مفهوم واضح ومدروس للسياسات الضريبية والتي لازالت غائبة عن مفهوم التوازن المالي، وبما يحقق القدرة لدى الدولة لاستخدامها كأداة فعالة لتحويل جزء من فائض دخل المؤسسات الاقتصادية الكبيرة لصالح المؤسسات الصغيرة والمتوسطة والوفاء بالتزامات الدولة تجاه الحاجات الاجتماعية.

- لا يوجد في برنامج عمل الحكومة توجه لسياسة واضحة لتطوير وتنمية قطاعات محددة كالزراعة وصيد الأسماك وبما يراعي تحقيق توازن مأمول للحفاظ على الثروات وتطوير مصالح الصيادين والمزارعين.

- لا يتطرق البرنامج إلى المستوى الحالي للمعيشة ولا يقدم أرقاماً أو نسباً يمكن مراقبتها ولا يؤشر إلى المستوى المعيشي المستهدف من خلال البرنامج.

- لا يتطرق البرنامج إلى المستوى الحالي للأجور ناهيك عن الحد الأدنى للأجور والسقف المأمول بما يعالج مستويات الفقر في المجتمع.

- لا يتطرق البرنامج إلى التناقض القائم والمتزايد بين تدني الدخل عن طريقة فرض الضرائب والرسوم والاستقطاعات من جهة، وزيادة الأسعار على السلع والخدمات خصوصاً بعد رفع الدعم عنها.

- البرنامج لا يتحدث عن نسبة البطالة وكذلك لا يتحدث عن إجاد حلول لها، كما أن نسبة العمالة الأجنبية في تزايد ودون ضوابط، ولابد لبرنامج الحكومة أن يضع خططاً مدروسة للتعاطي مع هذه المشكلة المتزايدة.

تأملات في تداعيات ما بعد الدولة الريعية؟

تتجه دول الخليج بما فيها البحرين نحو تحولات تفرضها مرحلة ما بعد النفط. جوهر هذه التحولات تطال العلاقة الريعية بين المواطن والمجتمع والدولة، من علاقة ريعية توزيعية إلى علاقة إنتاجية تتطلب الإنتاج والتصدير تعتمد على ضرورة المشاركة والمساهمة في بناء الوطن من قبل المواطن والمجتمع.

د. محمد الكويتي

اعتمدت الدولة إلى حد الآن على إيـرادات النفط لتمويل بناء مؤسسات الدولة والإنفاق على التعليم والصحة وخدمات الإسكان والضمان الاجتماعي. أما في المستقبل فإن اعتماد الدولة على إيرادات النفط سوف يتناقص مع توجه متزايد لفرض الرسوم والضرائب وإلغاء مختلف أوجه الدعم مع كل ما يترتب على ذلك من تغيير في المفاهيم والعلاقات وأسس العلاقة بين الفرد والدولة والمجتمع.

النجاح في المرحلة المقبلة له شروط وله متطلبات تختلف عن شروط ومتطلبات المرحلة السابقة. السلوك المطلوب في المرحلة المقبلة يختلف عن سلوك المرحلة الحالية. الذهنية المطلوبة تختلف عن الذهنية الحالية. والمقاربة سوف تختلف عما سبقها. فماذا يعني ذلك بالنسبة للمواطن والمجتمع والدولة؟

هذا التحول قد يغير تعريف «المواطن الصالح». التحول يطالب المواطن بأن يكون إيجابياً ونقدياً في تعامله مع الدولة والمجتمع والمؤسسات والمنظمات المنبثقة عنهما. هذا الوضع يجعل المستقبل مختلفاً عن المرحلة الماضية ويضع المواطن في مواجهة مباشرة مع عدد من الخيارات التي ينبغي أن يتخذها وأن يدرك ويعي مصالحه ومصالح المجتمع ومصالح الدولة وكيف التوفيق بينها وكيف تتحقق في مقابل مصالح أخرى.

هذا يعني أن المواطن سوف يتحمل مسؤولية اتخاذ مواقف وقرارات بناء على معادلة جديدة من شبكة مصالح، مصالح تنبع من مسؤوليته في المشاركة في تقديم الخدمات وبالتالي مشاركته في قـرارات إدارة المـوارد وفي إدارة الخدمات. هذا يفرض رؤية مختلفة لإدارة الدولة تقتضي إصلاحات على أكثر من محور وصولاً إلى تحول في الثقافة والقيم والمفاهيم والسلوك التي تحكم العلاقة في التعامل بين المواطن والمجتمع والدولة. وهذا التحول بالنسبة للمواطن سوف يحدث تدريجيا مع كل إضافة في مساهمته في تمويل الدولة من خلال الضرائب.

يحتم هذا التحول على المواطن، وكذلك عضو البرلمان، تحمل مسؤولية قـراره ومواقفه تجاه مختلف القضايا المطروحة وفق مصالح متعددة الأبعاد. عليه أن يهتم إلى: أولاً؛ مصالح طويلة الأمد تنظر إلى مستقبل أبنائه وأحفاده وخلق بيئة تنموية ومعيشية تمنح حياة كريمة له وللجيل المقبل والأجيال التالية. وثانياً؛ مصالح قصيرة الأمد تنظر إلى تحسين مستوى المعيشة وجودة الحياة اليومية الآنية وكل ما يترتب عليها من ضرورة حسن إدارة الموارد وتوفير خدمات ذات جودة تتناسب مع تضحيات المواطن ومساهمته.

هذا يتطلب نوعاً مختلفاً من التعامل مع المعطيات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ويعني تفكيراً ناقداً يهدف إلى الإصلاح، ونوعاً مختلفاً من العلاقات بين النائب والمجتمع تقوم على المحاسبة والمتابعة، ونوعاً مختلفاً من المشاركة السياسية تتسم بالجدية والفعالية.

على مستوى المجتمع فإن عقلية من يدفع حصته في المشاركة لإدارة أجهزة الدولة وتوفير الخدمات الصحية والتعليمية والإسكانية والرعاية الاجتماعية وبناء البنى التحتية سوف تختلف عن عقلية من لا يساهم. لذلك فنحن امام تحول ثقافي وقيمي ومفاهيمي يحتاج إلى استعداد مجتمعي. سوف يختلف مفهوم التنمية وشروط نجاحها، وكيف تساهم في توفير الحياة الكريمة للمواطنين وتحقيق اللحمة بين مختلف فئات المجتمع، والتقدم للدولة في مختلف الميادين لتكون دولة حديثة ديمقراطية تترجم ميثاق العمل الوطني وكما أراد لها المشروع الإصلاحي لجلالة الملك.

يحتاج المجتمع إلى خلق مناخ يساهم ويساعد على الإبتكار والإبداع والقدرة على العلم. أي يحتاج إلى خلق عقلية المنتج المبتكر والمشارك فهي عقلية متفتحة تسعى إلى زيادة دخلها لتعويض ما قدّمته من مساهمة (ضرائب) نحو بناء الدولة والوطن وخدمة المجتمع والتفكير في مستقبل أبنائها. لكي تكون عقلية مبتكرة، متحفزة للإنتاج لا بد أن تشعر أنها حرة في التفكير وحرة في النقد وحرة في طرح الأسئلة وفي تقديم الحلول والمشاركة في كل ذلك بكل أريحية.

المجتمع في هذه الحالة هو مساهم في بناء نهضة وطنه، ومساهم في التصدي للمشكلات التي تواجهه، وهو مشارك في وضع السياسات والإستراتيجيات وفي إيجاد الحلول ومشارك في تنفيذها ومراقبتها وتقييم نتائجها وتقويمها. وهو مساهم في تكوين رأس المال البشري ورأس المال الاجتماعي ورأس المال الاقتصادي، وهو شريك في استثمار رؤوس الأموال هذه لخلق فرص عمل للمواطنين وأبنائهم وأحفادهم.

لكي يتمكن المجتمع من أن يكون شريكاً وعوناً للدولة ومساهماً في تحقيق شروط التحول يتوجب عليه تنظيم نفسه في منظمات مهنية وحقوقية وسياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وفق معايير التوفيق بين المصلحة الخاصة والمصلحة العامة. فعالية هذه التنظيمات سوف ترفع من مستوى حيوية المجتمع ومشاركته في الحوار والنقاش وطرح المقترحات والبدائل وتقديم الدراسات واتخاذ القرارات وبذلك يمكن أن يقوم بمهمة الرقابة المجتمعية على مؤسسات الدولة وتقويم أدائها ويكون شريكاً في حفظ كيانها وهيبتها.

كذلك سوف تختلف مسؤولية الدولة، من دولة تقدم خدمات وفرص توظيف وحماية تنفق عليها من أموال النفط، إلى دولة تقدم الخدمات بتمويل كلي أو جزئي من المواطن عن طريق الضرائب والرسوم التي بدأ يدفعها من دخله وادخاره وايرادات تجارته.

نحن، إذاً، أمام واقع اقتصادي يفرض علينا أن نهيئ له كل أسباب النجاح. أهم هذه الأسباب هو تحقيق الأمن والاستقرار للمواطن وأمن المجتمع وأمن الدولة وحماية الدستور وقيم المجتمع ووحدته واستقراره وتماسكه. يتطلب هذا الواقع دولة قوية تحمي الأرواح والممتلكات وتحفظ حقوق الأفراد وتعاملاتهم من أملاك وعقود. دولة تفرض قوانينها على الجميع، وتستطيع فرض الضرائب وتحصيلها من الفئات الغنية القادرة، دولة متمكنة من تقديم الخدمات النوعية من صحة وتعليم واسكان وضمان اجتماعي وبنى تحتية. وفي نفس الوقت دولة تخضع لقيود المجتمع التي يفرضها عليها الدستور والميثاق وأهم هذه القيود خضوعها للمساءلة الفاعلة البرلمانية والمجتمعية.

أهمية المرحلة المقبلة كونها تأتي في وقت تجري فيه تحـولات من علاقة ريعية بين الدولة والمواطن إلى علاقة تعتمد على فرض الضرائب والرسوم ورفع الدعم عن الكهرباء والبترول والمواد الغذائية وقد تشمل كذلك تقليل امتيازات التقاعد. هذا الوضع يتطلب من المواطن الوعي بطبيعة مصالحه وكيف تختلف عن مصالح التجار مثلاً والأثرياء وملاك الأراضي والفئات الأخرى. هذا الوضع يتطلب التوافق على قرارات حول من سيتحمل دفع الضرائب أو على الأقل الجزء الأكبر منها. وعلى أي أسس سوف يتحدد ذلك؟ هل يتحملها المواطن البسيط أم الشركات ورجال الأعمال، كبارهم وصغارهم، أم الأثرياء وأصحاب الأملاك الكبيرة والدخول العالية؟ وكيف سيتم تحديد نصيب كل من هذه الفئات في دفع الضرائب والمساهمة في التنمية وفي تطوير الخدمات للمجتمع. هذا سيتطلب حواراً مجتمعياً ونقاشاً وتفاوضاً ومناظرات تشترك فيها الحكومة والنواب والشورى والمنظمات الأهلية والصحافة والمجتمع ككل.

في مؤتمر صحفي

«تقدّم» تعلن نتائج استبيان العاطلين عن العمل في مؤتمر صحفي

تقرير: يحيى المخرق

عقدت كتلة «تقدّم» مؤتمراً صحفياً يوم الاربعاء الموافق ٩ يناير، أعلنت فيه نتائج الأستبيان الالكتروني الذي تم تدشينه في ٢٢ ديسمبر الماضي.

وكانت الكتلة قد أعدّت الاستبيان بهدف الحصول على معلومات العاطلين عن العمل لتجهيز ملف متابعة مع الجهات الرسمية ذات العلاقة والعمل على احلال العمالة البحرينية المؤهلة في وظائف مناسبة تحفظ للمواطن كرامته. وقدّمت الكتلة النتائج الإحصائية، مشفوعة بتحليلها، وقام نائبا الكتلة عبدالنبي سلمان وفلاح هاشم بالتعليق على النتائج والإجابة على اسئلة الصحفيين.

شارك في الاستبيان ٢,٨٩٢ مشاركاً، اجابوا جميعاً على الاسئلة الإجبارية فيما أجابت أعداد مختلفة عن عدد من الأسئلة الاختيارية حسب صلتها وانطباقها عليهم، وفي هذه الحالة نذكر العدد المحدد لكل سؤال.

النوع الاجتماعي للمشاركين

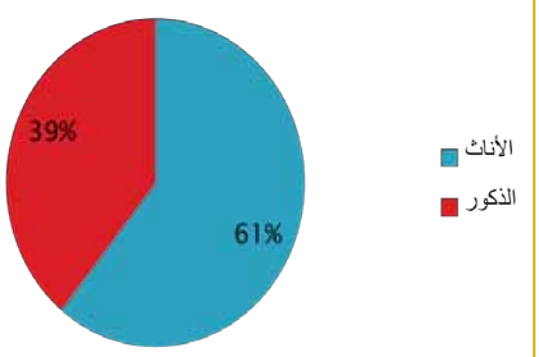

النوع الاجتماعي	العدد	النسبة
الذكور	1,131	%39
الأناث	1,761	%61
المجوع	2,892	%100

الفئة العمرية للعاطلين

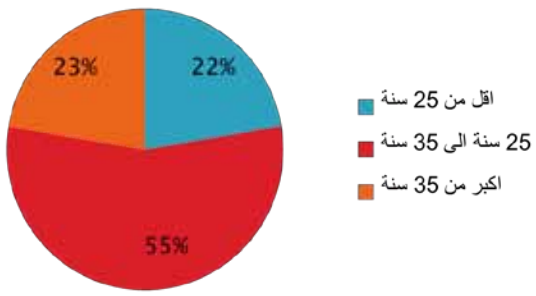

الفئة العمرية	العدد	النسبة
أقل من 25 سنة	645	22%
25 سنة الى 35 سنة	1,600	55%
أكبر من 35 سنة	647	23%
المجموع	2,892	100%

النواب السابقون سنّوا توجهاً خاطئاً بأن على النائب الاهتمام بناخبي دائرته فقط

أرقام وزارة العمل تقدر عدد العاطلين عن العمل في حدود 4 آلاف عاطل، بينما نقدر العدد بأكثر من ذلك بكثير ولا يقل عن 10 آلاف عاطلاً، وبمقارنة عدد المشاركين بالنسبة إلى عدد العاطلين تكون العينة كبيرة جداً في استطلاعات الرأي وتفضي الى استخلاص نتائج واقعية وحقيقية.

وقال النائب عبدالنبي سلمان إن نسبة البطالة التي تعلنها الجهات الرسمية (4.3٪) هي نسبة غير واقعية وغير حقيقية، يُكذّبها الواقع ويثبت هذا الاستبيان ومن خلال حجم المشاركين ونتائجه عدم صحتها، وهذا لا يخدم في معالجة قضية البطالة في البحرين.

وأضاف: «على وزارة العمل ووزارة التربية والتعليم والجهات المعنية دراسة نتائج الاستبيان واستخلاصاته، والعمل على رفع الظلم تجاه الفئات المتضررة من كالأناث اللواتي يشكلن 61٪ من العاطين والشباب الذين يُشكلون أكبر شريحة من العاطلين بكون 55٪ منهم بين عمر 25 سنة الى 35 سنة وهو ما يؤشر إلى خسارة طاقات وموارد وطنية لا يتم الانتباه لها.

استبيان البطالة

عاطلون منذ 10 سنوات وغالبيتهم من «الجامعيين»... نواب كتلة «تقدم»:
«العاصمة» تحصد «نصيب الأسد» من العاطلين.. والإناث بشكلون الغالبية

نسبة البطالة "غير حقيقية" والأجانب غالبية
حسب استبيان "تقدم": 70 % من العاطلين جامعيون

في استبيان لـ«تقدم» النيابية:
89٪ من العاطلين يفضلون القطاع العام

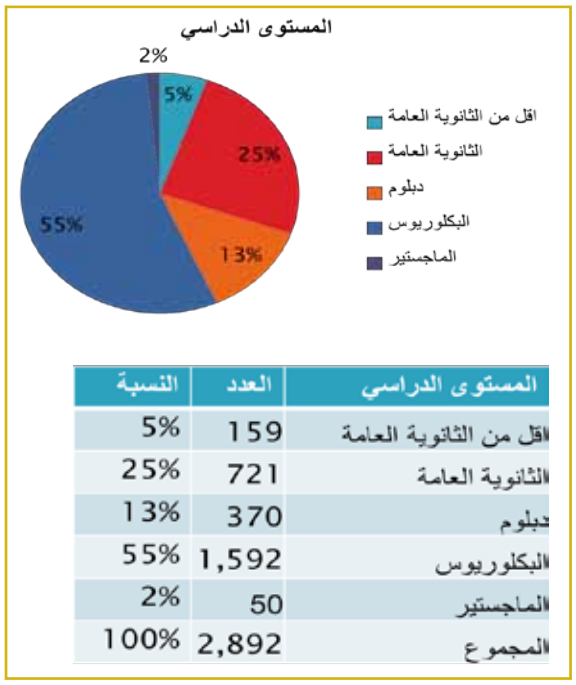

المستوى الدراسي	العدد	النسبة
اقل من الثانوية العامة	159	5%
الثانوية العامة	721	25%
دبلوم	370	13%
البكلوريوس	1,592	55%
الماجستير	50	2%
المجموع	2,892	100%

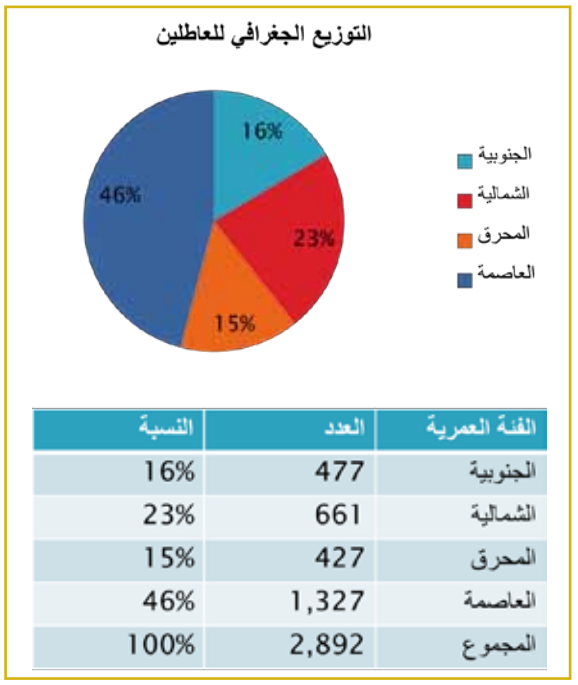

الفئة العمرية	العدد	النسبة
الجنوبية	477	16%
الشمالية	661	23%
المحرق	427	15%
العاصمة	1,327	46%
المجموع	2,892	100%

أرقام وزارة العمل تقدر عدد العاطلين عن العمل في حدود ٤ آلاف عاطل.. بينما نقدر العدد بأكثر من ذلك بكثير ولا يقل عن ١٠ آلاف عاطلاً

وعلى صعيد التخصصات المختلفة التي أشارت إليها نتائج الاستبيان؛ أوضح أنها تؤشر على خلل واضح لدى وزارة التربية والتعليم في توجيه الخريجين إلى التخصصات المطلوبة، وأيضاً في سوق العمل، وبالأخص في القطاع الخاص الذي يستوعب أعداداً كبيرة من الأجانب في الوقت الذي يبقى فيه شباب البحرين معطلين عن المشاركة في عملية التنمية.

وأشار إلى أن النواب السابقين وكتلاً برلمانية سابقة سنّت توجهاً خاطئاً بأن على النائب الاهتمام بمنطقته ودائرته وناخبينه فقط، وهذا توجه خاطئ فمقاربة مشكلة في حجم البطالة يجب أن تكون على المستوى الوطني.

يتبع

يتبع

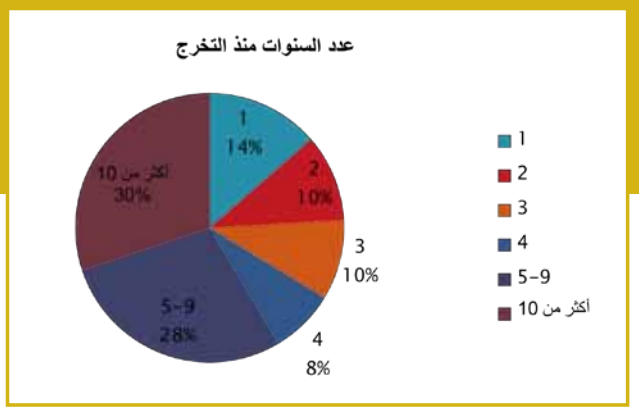

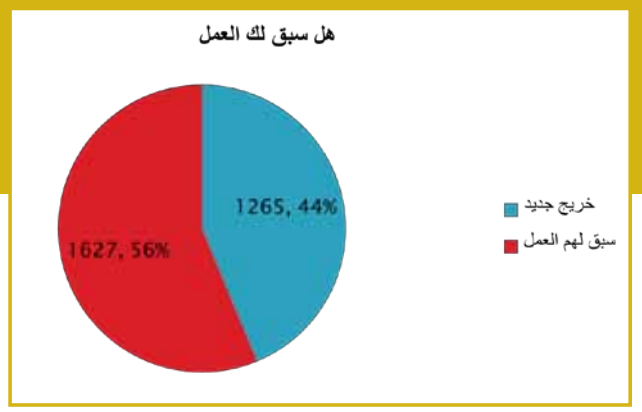

النائب فلاح هاشم: وجود نسبة 56٪ من العاطلين ممن سبق لهم العمل ولا يعملون حاليا يدل على عدم الاستقرار في سوق العمل

ومن جانبه قال النائب السيد فلاح هاشم إن وجود نسبة 56٪ من العاطلين ممن سبق لهم العمل ولا يعملون حاليا يدل على عدم الاستقرار في سوق العمل. ونبّه إلى أن القراءة المتأنية للبيانات المتوفرة عن سوق العمل تبين أن وزارة العمل تعلن عن 6 إلى 7 آلاف وظيفة سنوياً، بينما تعلن هيئة التأمينات الاجتماعية أن عدد المستجدين في الاشتراك في الهيئة يتراوح بين 3 إلى 4 آلاف شخص، ما يعني أن جزءاً كبيراً منهم سبق لهم العمل وفصلوا من أعمالهم ويبدأون العمل مرة آخرى وهذا يثبت عدم الاستقرار في سوق العمل وبالذات في القطاع الخاص ولذلك جائت النتيجة بأن 89٪ من الباحثين عن العمل يفضلون العمل في القطاع العام لما تميّز به في الفترة السابقة من استقرار وظيفي.

وأضاف: «سنقوم بالتواصل مع كافة الجهات المعنية، الحكومية منها والاهلية، كالاتحادات العمالية والنقابات ومؤسسات المجتمع المدني المعنية، ونعول عليها للوصول إلى الشرائح الأخرى بالاخص تلك التي لم تسجل في وزارة العمل.

وأشار النائب هاشم إلى أنه مع كل ما يعلن عنه من مشاريع وبرامج تدريبية إلا أن مقابلها ما زال عدد العاطلين عن العمل يزيد وشريحة الباحثين عن عمل تتسع، مما يعني أن مخرجات التدريب كما هي مخرجات التعليم أصبحت غير ملائمة وهي التي يصرف عليها عشرات الملايين سنوياً.

وقارن بين عدد العمالة الوافدة المتزايد وعدم وجود توجه وجدية لحل اشكالية العاطلين عن العمل من الجانب الرسمي، بل بالعكس نرى منهم الهروب من مواجهة المشكلة بحيث يتم فتح الأسواق على مصراعيها واعطاء مجال أكبر للمخالفين للقوانين والنظم المعمول بها لتصحيح أوضاعهم على حساب فرص العمل للعمالة البحرينية.

أغلبية العاطلين عن العمل هن الأناث بنسبة 61٪ .

سوق العمل طارد للإناث والسبب الاساسي هو تعطيل الحماية الاجتماعية وتخوّف أرباب العمل من المنافع الممنوحة للإمومة في قانون العمل.

أغلب العاطلين عن العمل من الفئة العمرية بين 25 سنة الى 35 سنة.

22٪ من العاطلين يقلون عن 25 سنة.

أغلبية العاطلين عن العمل هن الأناث بنسبة 61٪

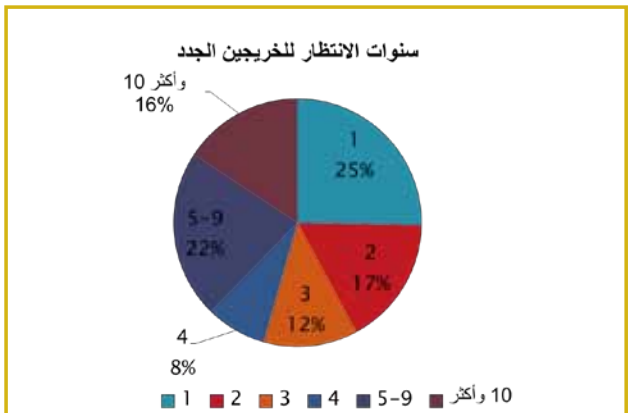

سنوات الأنتظار	العدد	النسبة
1	320	25%
2	213	17%
3	155	%12
4	100	%8
9-5	278	%22
10 وأكثر	199	%16
	1،265	%100

23٪ من العاطلين أكبر من 35 سنة.

أغلب العاطلين من محافظة العاصمة بنسبة 46٪.

تليها المحافظة الشمالية بنسبة 23٪.

وتتساوى المحافظتان الجنوبية والمحرق بنسبة 16٪ و15٪ على التوالي.

70٪ من العاطلين عن العمل جامعيون.

55٪ يحملون شهادة البكلوريوس.

25٪ يحملون شهادة الدبلوم.

يتركز أغلب العاطلين عن العمل في تخصصات إدارة الأعمال والآداب والتعليم والهندسة.

36٪ من العاطلين متخصصون في ادارة الأعمال.

من الواضح أن هناك خللاً هيكلياً لدى المؤسسات التعليمية في عملية ربط احتياجات سوق العمل وتوجيه الطلبة إلى

استبيان البطالة

مخرجات التدريب كما هي مخرجات التعليم أصبحت غير ملائمة وهي التي يصرف عليها عشرات الملايين سنوياً

هناك خللاً هيكلياً لدى المؤسسات التعليمية في عملية ربط احتياجات سوق العمل وتوجيه الطلبة إلى التخصصات المطلوبة

أغلب العاطلين عن العمل من الفئة العمرية بين ٢٥ سنة الى ٣٥ سنة

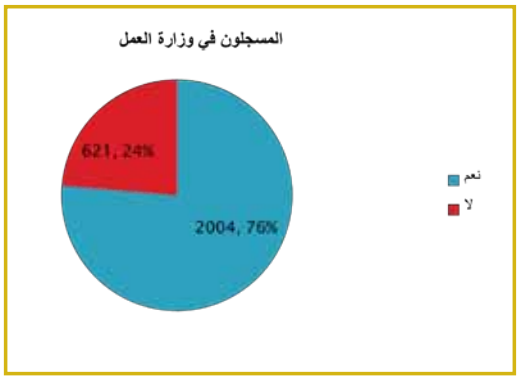

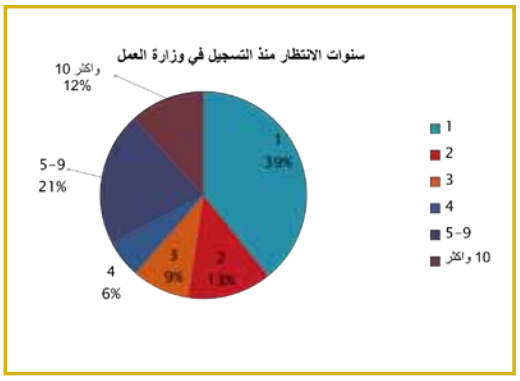

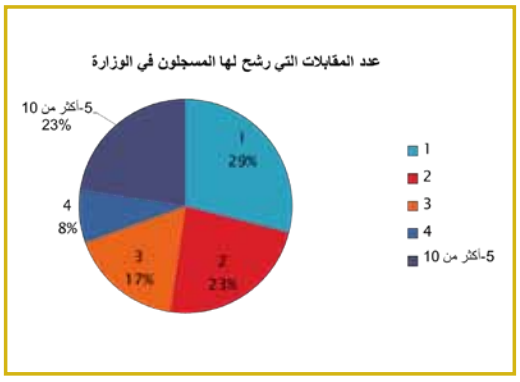

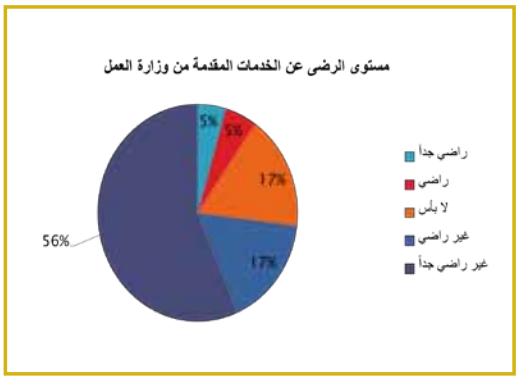

التخصصات المطلوبة.

يتضح أيضاً الخلل الكبير في سوق العمل حين يتواجد آلاف العمال الأجانب في تخصصات في حين يتوفر البحرينيون الأكاديميون المؤهلون لشغل نفس الوظائف ولا خطط واضحة لإحلال البحرينين مكان الأجانب.

58٪ من العاطلين تخرجوا منذ أكثر من خمس سنوات.

30٪ من العاطلين تخرجوا من اكثر من 10 سنوات.

أغلبية العاطلين عن العمل ينتظرون لفترة طويلة حتى الحصول على الوظيفة مما يصيبهم بالإحباط ويعطل حياتهم ويؤخر مساهمتهم في التنمية والاقتصاد.

56٪ من العاطلين عن العمل سبق لهم العمل وفصلوا من أعمالهم.

وهذا مؤشر خطير على عدم الاستقرار في بيئة العمل واستمرار تسريح الآلاف من أعمالهم.

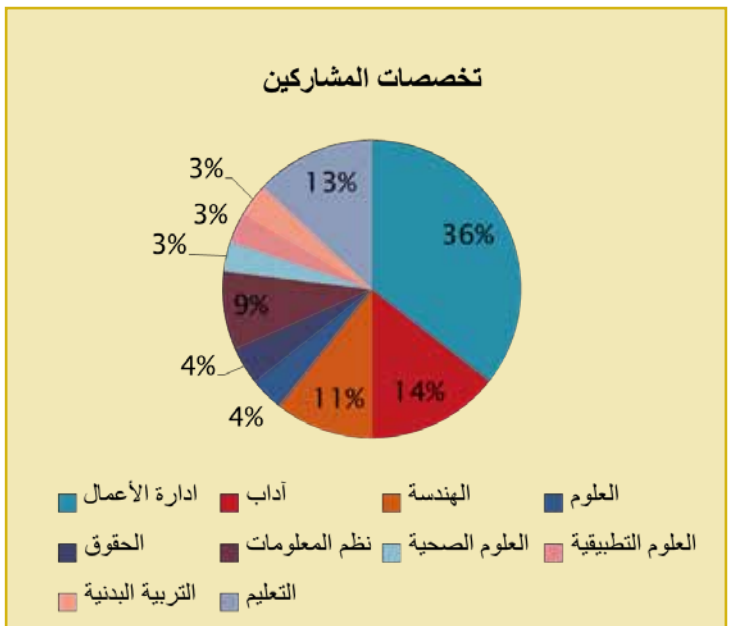

التخصص	العدد	النسبة
ادارة الأعمال	1,028	36%
آداب	418	14%
الهندسة	309	11%
العلوم	105	4%
الحقوق	119	4%
نظم المعلومات	247	9%
العلوم الصحية	93	3%
العلوم التطبيقية	97	3%
التربية البدنية	101	3%
التعليم	375	13%
المجموع	2,892	%100

جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاس
مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مرا
وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداع

جاسم مراد ..وداعاً

جاسم مراد
وداعاً جاسم
مراد وداعاً

فاضل الحليبي

جاسم مراد
رجل المواقف الوطنية

سمعت عنه في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي، عندما كنا طلاباً في الجامعة، بصفته عضواً سابقاً في المجلس الوطني (75/1973)، ولم التق به، ولكن في نهاية الثمانينيات، ويوم كانت تجري حوارات ونقاشات حول إعادة الحياة النيابية وإشاعة الديمقراطية وإطلاق سراح المعتقلين والسجناء السياسيين وعودة المنفيين وحق المرأة في الترشح والانتخاب في العديد من المجالس، كان أبرزها مجلسا النائب السابق وعضو كتلة الشعب الرفيق الراحل محمد جابر الصباح والنائب السابق وعضو كتلة الشعب أيضاً الأستاذ علي ربيعة.

كما كان للرفيق المحامي أحمد عيسى الشملان (أبو خالد) دور محوري في هذا الموضوع، لهذا فتح منزله ومكتبه لاجتماعات ولقاءات للشخصيات الوطنية، عندما كانت تدور النقاشات عن أهمية إصدار عريضة للتواقيع عليها من قبل الشخصيات الوطنية والمثقفين وغيرهم تتضمن تلك المطالب.

وكنا نتداول أسماء الشخصيات الوطنية وأعضاء المجلس الوطني السابق (75/1973) في مجلس الأستاذ علي ربيعة، ونتساءل من تراه سيكون مع فكرة هذه العريضة، ومن سيمتنع عن التوقيع عليها، ومن يمكن أن يكون ضد الفكرة من حيث المبدأ.

في إحدى المرات سألت الأستاذ علي ربيعة عن موقف الأستاذ جاسم مراد، بصفتع عضواً في المجلس الوطني المنحل من فكرة هذه العريضة، فأجابني بأنه مؤيد لها، ولكن لظروف خاصة لن يوقع عليها، وكان هذا موقف العديد من الشخصيات التي تتفق مع المطالب ولم توقع العريضة والبعض الآخر وقع عليها وسحب التوقيع فيما بعد وإن تعددت الأسباب.

وكان للفقيد يومها موقف يلخصه في التالي: «أنا لستُ مع الانتخابات في الوقت الحالي لأنها سوف تأتي بالقوى الدينية»، وكان ذلك مصدر خشيته نظراً لضعف القوى الوطنية الديمقراطية واليسارية بسبب الضربات القمعية من قبل أجهزة الأمن بعد حل المجلس الوطني في أغسطس 1975 وتطبيق قانون أمن الدولة في تلك الحقبة السوداء من تاريخ البحرين السياسي، وبعد ذلك تأثير انتصارالثورة الايرانية في فبراير عام 1979 في المنطقة ببروز ماعرف بالإسلام السياسي .

تدور الأيام وتتكرر لقاءاتنا بتلك الشخصية الوطنية والتجارية التي طالما سمعنا عنها الكثير، الراحل الكبير جاسم محمد مراد (أبوصلاح)، سواء في مجلسه في منطقة القفول بالمنامة أو مجلس الصديق علي ربيعة في المحرق، وكان أبوصلاح واضحاً في طرح آراءه ومواقفه ولا يخشي أحداً، كان لبيرالياً وبعض الأحيان يأخذه الحماس في النقاش في الدفاع عن الليبرالية ليس كفكر سياسي واجتماعي، بل كمنظومة شمولية بأبعادها السياسية والعسكرية والايديولوجية، ويذهب معنا نحن معشر اليساريين والتقدميين في نقاشاته وسجالاته في التعبير عن موقفه بالقول بأنها النظام السياسي أو التشكيلية السياسية الأفضل وبالاخص بعد إنهيار الاتحادالسوفياتي ودول المنظومة الاشتراكية.

فهو يرى أن المجتمع السليم هو الذي الديمقراطية وتجرى فيه الانتخابات وتحترم فيه حقوق الإنسان هذه كانت بالنسبة له مفاهيم ثابتة وراسخة بغض النظرعن مساوئ النظام الراسمالي، وكان أبو صلاح يطرح رأيه بشجاعة بشأن فصل الدين عن السياسة، فكان دائم القول إن الدولة تحتاج إلى متعلمين في تخصصات متعددة: الطب، الهندسة، الاقتصاد، العلوم الطبيعية والاجتماعية، السياسة، أما رجال الدين فمكانهم الطبيعي هو دور العبادة: المساجد والمآتم.

ومن جهة نظره فإن على الدولة توفير بطاقات تموينية لذوي الدخل المحدود، تعينهم على مواجهة أعباء الحياة بتوفير السلع الضرورية لهم بأسعار مناسبة، فذلك خير من الدعم الحكومي للسلع، الذي على الدولة أن ترفعه برأيه لأنه لا يجوز أن يتساوى الأغنياء مع الفقراء في الحصول على هذا الدعم، ففي ذلك اجحاف للفقراء.

ومن تجليات صراحته في الموقف قوله حول الانتخابات التي تجري لاختيار أعضاء مجلس النواب منذ عام 2002، بأن على الذي ينوي الترشح وبالأخص من فئة المستقلين التأكد من موقف الدولة من ترشحهم: (قبل لا تخسر فلوسك إسال الدولة موافقين على ترشيحي أو لا، فإذا حصلت على الموافقة وقتها ممكن ترشح) كما كان يردد للمستقلين الذين ينوون الترشح في هذه الدائرة أو تلك في مجلسه وفي غيره من المجالس.

كان جاسم مراد من شباب هيئة الاتحاد الوطني في الخمسينات وعضواً فيها، وهي التي قادت نضال شعب البحرين ضد الاستعمار البريطاني والرجعية، حيث كان متأثر بالتجربة الناصرية وبشخصية الزعيم الراحل جمال عبدالناصر في تلك الفترة مثل سواه من الشباب في البحرين والبلدان العربية.

في 1970 وعندما كان رئيس لنادي البحرين الرياضي والثقافي كان من ضمن وفد النادي الذي التقى مع ممثل الامم المتحدة لتقصي الحقيقة حول استقلال وعروبة البحرين، حيث كان الشاه المقبور يومها يطالب بضم البحرين إلى إيران، وكان لجاسم مراد ونادي البحرين موقف كل الأندية والفعاليات والتنظيمات الوطنية في البحرين التي قالت كلمتها بالتأكيد على عروبة واستقلال البحرين.

حين جرت انتخابات المجلس التأسيسي لاقرار أول دستور في تاريخ بلادنا شارك فيها جاسم مراد وفاز بمقعد في احدى دوائر المحرق، كما شارك بعد ذلك في انتخابات المجلس الوطني وفاز فيها أيضاً، وكانت له صولات وجولات في المجلسين، سواء في مناقشات مواد الدستور أو في تبني قضايا الشعب، وبالأخص عندما طرح موضوع بناء سكن للفقراء وذوى الدخل المحدود في المجلس الوطني، حيث أكدّ أبوصلاح على ضرورة أن يكون حقاً دستورياً، وهذا ما حدث فعلاً حيث نصت المادة رقم 9 فقرة (و) على التالي: "تعمل الدولة على توفير السكن لذوي الدخل المحدود من المواطنين"، وهي نفس المادة التي نصّ عليها فيما بعد دستور مملكة البحرين الصادر في فبراير 2002.

وهذا ليس بغريب على الفقيد العزيز ألذي وقف دائماً مع فقراء الشعب، وحقهم بأن يعيشوا في وطنهم بعزة وكرامة، ومن ذلك أنه كان أحد مؤسسي جمعية البحرين الخيرية وعضواً في مجلس إدارتها لأكثر من دورة، وهي الجمعية المعروفة بتقديم المساعدات المالية والعينية إلى الفقراء والمحتاجين .

بوفاته صباح يوم الأربعاء في التاسع من يناير 2019 ، تخسر البحرين رجلاً من رجالاتها الاوفياء ، أعطى الكثير من حياته وعلى حساب صحته لوطن أحبه وعشقه هو البحرين، فله الذكرى العطرة والخالدة.

جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم
جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم
جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً ـ مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم

طاقة حياة لم يستوعبها جسد

عصمت الموسوي

قبل ستين عاما غادر الراحل جاسم مراد مدينة المحرق التي ولد وترعرع فيها ومارس نشاطه السياسي وانتخب نائبا برلمانيا في احدى دوائرها عام 1973، كثيرون يحبون مدنهم ولا يرغبون في الرحيل عنها وأهل المحرق ليسوا استثناء في ذلك، قد كان جاسم أحدهم، إلا أن المحرق شأنها شأن العاصمة المنامة ضاقت باهلها ولم تعد تستجيب بسبب ضيق مساحاتها وأزقتها للتغيير والتوسع.

جاسم كان يرغب في مكان كبير وواسع ويليق برجل ثري وكريم وناشط سياسي واجتماعي وتجاري، مجلس يتسع لطموحاته العائلية والشعبية ويحقق رغبته في لقاء الناس والتواصل معهم في الأفراح والأتراح، فانتقل الى بيت جديد بناه في منطقة القفول بالمنامة وكانت تعد عندئذ أغلى وأرقى منطقة، وظلَّ هذا المنزل يتجدد ويتطور إلى أن استقرّ بهيئته الحالية: صالة الضيوف الواسعة مصممة لاستقبال أكبر قدر من الناس، جدرانها مزدانة باللوحات التشكيلية والصور التاريخية وشهادات التقديروالأوسمة والسجاد الفاخر الذي اشتراه خلال أسفاره العديدة.

بيد أن جاسم ظلَّ موصولاً بالمحرق بقوة، يرأس نادي البحرين، يمارس رياضة المشي في طرقاتها، يزور أهلها القدامى، يحضر جنائزهم، يبحث عن المحتاجين منهم، يرافقه دوماً ذلك الإحساس بالمسؤولية والتعاطف تجاه أهلها الذين صوتوا له ذات يوم من أيام السبعينات، أبقى جاسم على بيت المحرق القديم وظلّ يستقبل فيه كل ثلاثاء رفقاء دربه وأصدقاء طفولته وشبابه ممن يتعذر عليهم الذهاب الى القفول هو وشقيقه علي مراد الذي يصغره بعدة سنوات.

مع ذلك فإن الكثيرين يعدّون مجلس القفول مكاناً أثيراً ومحبباً وقريبا منهم، ومصدر فرح وأمل وإلهام وتجدد وتعارف وتواصل مع الآخرين، سياسيون وتجار ونساء وشباب وشيبان، ظلت أضواؤه مضاءة حتى رحيله، يالله كم شهد هذا المكان من صولات وجولات المتحاورين وكم تعالت بين جنباته الضحكات والصيحات والنقاشات. ما أسعدنا وقد عاصرنا زمن جاسم مراد، ينتظر ضيوفه على أحر من الجمر يردد مقولة جبران "لولا الضيوف لكانت البيوت قبورا".

عاش في الخير فانعكس الخير على من حوله، حين اشتدّ المرض عليه تحولت غرفة نومه في الطابق العلوي إلى مستشفى صغير، يقف عند السلم ممرضه الهندي يطلب من الضيوف خلع احذيتهم ضمانا للصحة، وإذا شاهد الناس فتّح عينيه وانفرجت أساريره، ظلَّ موصولاً بالناس حتى آخر عمره، حبه للناس وحب الناس له هو المخزون المعنوي الذي أمدّ في حياة جاسم وساعده على قهر أمراضه.

هذه "الجَمعة" مع الناس أغنته، أضافت الى عمره، جدّدت الحياة حوله، جلبت له معارف وأصدقاء مختلفين. توقف جاسم عن تناول عشاءه خارج البيت مع "الربع" المعتادين، صار مجلسه جنته، عبره يستعيد ذكرياته ويروي حكاياته ويستعين به على مقاومة التغيير الجسدي وانحسار الصحة ورتابة الأيام، تتوزع المقالات المطبوعة على الحضور أو تنتظرهم عند مدخل البيت.

ذلك هو جاسم الذي فقدناه مؤخراً، انني اكتب بعضا من فصول سيرة رجل انهك المرض جسده فحسب ولم يمس طاقة روحه الوقادة الجميلة وتفاعله المبدع مع الحياة. و"إذا كانت النفوس كباراً/ تعبت في مرادها الأجسام"، كما يقول الشاعر الطيب المتنبي، وهكذا يغيب الناس ويبتعدون ويبقى جاسم على حاله لا يتوقف عن العطاء والبذل وتقديم النصح ومساعدة الناس وأبناء شعبه دون مقابل او انتظار شكر أو مديح، ظلَّ مشاغباً ومشاكساً وصاخباً ومختلفاً وشجاعاً في قول الرأي الذي يؤمن به إلى أن وافاه الأجل مخلفا وراءه سيرة عصية على النسيان.

جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم
مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مرا
وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداعاً جاسم مراد وداع

جاسم مراد ..وداعاً

جاسم مراد
وداعاً جاسم
مراد وداعاً

د.حسن مدن

جاسم مراد:
شجاعة الليبرالية

هناك رجل حقّ وصفهم بأنهم عاشوا ورأوا، بالمعنى الواسع، العميق لهذا القول، فليس كل الأحياء يعيشون الحياة بما يجدر بها أن تعاش، فينخرطوا فيها بحماس ومحبة ونبل، تحدوهم في ذلك قيم وأفكار تلهمهم، فيتعلموا من تجارب هذه الحياة، التي تصقل شخصياتهم وتصوغ تجاربهم.

الشخصية الوطنية ورجل الأعمال البحريني جاسم مراد الذي رحل عن ثمانية وثمانين عاماً هو واحد من هؤلاء الذين عاشوا ورأوا. وعلى أهمية حضور ودور جاسم مراد داخل وطنه البحرين، إلا إنه كان شخصية معروفة في بلدان الخليج العربي الأخرى.

تجسّدت في الراحل شجاعة الليبرالية في الفكر والرأي، فهو لم يهادن أحداً. كان صريحاً وواضحاً في مواقفه، وقدّم بذلك نموذجاً مختلفاً عن نماذج الليبرالية المبتذلة الشائعة، التي يفتقد دعاتها الشجاعة الضرورية في الدفاع عن الفكرة التي يزعمون أنهم ينتسبون لها، ربما بسبب هشاشة الأرضية الاجتماعية الفكرية التي ينطلقون منها في غياب برجوازية وطنية قوية مستقلة عن الدولة، حيث اختار من يدعون بالليبراليين اليوم الانكفاء والابتعاد عن العمل السياسي المباشر، وحين نشأت ظروف لعودة حد أدنى من الحياة الحزبية، فإن ورثة الليبرالية العربية القديمة لم يظهروا الاستقلالية والحزم اللذين وسما أسلافهم .

وليس خافياً على المراقب أن بعض التيار الليبرالي في كثير من الأحوال أصبح أسير لعبة سياسية من الأنظمة العربية التي كانت في وقت سابق قد شجعت التيارات الإسلامية والمذهبية لتواجه اليساريين والقوميين، فلما اشتدّ ساعد الإسلاميين وقوي عودهم وأصبحوا خطراً على هذه الأنظمة، صار الحديث يكثر عن ضرورة التيار الليبرالي لمواجهة خطر التطرف الإسلامي.

والنتيجة كانت أن أخفق هذا التيار في أن يجد لنفسه الدور المنشود منه في مكافحة استشراء الفساد والاستبداد، وإذا كان التطرف الإسلامي والتعصب المذهبي ينطويان على مخاطر كبيرة جديرة بالتصدي لها، والتيار الليبرالي معني بذلك ولا شك وهو ما لم يتردد جاسم مراد فيه أبداً،، ولكن على هذا التيار أن يظهر في المقابل شجاعة في مواجهة أوجه الفساد والتسلط في ممارسات الحكومات وعبثها بالمال العام وفشلها الذريع في تحقيق تنمية مستقلة مستدامة وحقيقية، واستمرار قمعها للحريات، وأن يظهر وفاءه للفكرة الليبرالية الأصلية باظهار الشجاعة في مواجهة الفساد والتعسف لا أن يخدع نفسه بأن مهمته تنحصر في إرضاء للسلطات، المسؤولة بدرجة كبيرة عن صعود هذه التيارات وتمكينها في المجتمع والدولة.

كان جاسم مراد واضحاً في طرحه بأن مواجهة التطرف والتعصب الدينيين تتطلب معالجة التربة الاجتماعية السياسية المسؤولة عن هذه الظواهر من خلال الإصلاحات السياسية العميقة، ومن خلال محاربة استشراء الفساد وأشكال التمييز الاجتماعي كافة، ووضع حد للتواطؤات الضمنية بين الحكومات وبين التيارات المتشددة، عبر إشاعة الثقافة العصرية في مضامينها الإنسانية والروحية العميقة في أنظمة التربية والتعليم وفي أجهزة الثقافة والإعلام ونشر قيم التسامح والاعتدال وحرية الرأي والرأي الآخر واحترام حقوق الإنسان.

شارك جاسم مراد في الكثير من المحطات التاريخية في تاريخ البحرين مذ كان شاباً يافعاً، حيث انخرط في هيئة الاتحاد الوطني التي تشكلت في الخمسينات ضد هيمنة الإنجليز على مقدرات البلاد، ومن أجل إدخال إصلاحات سياسية، ويمكن القول إننا برحيله فقدنا واحداً من آخر الشهود الأحياء على هذه الحركة.

حين كانت البحرين تتهيأ لنيل استقلالها من الإنجليز مطالع سبعينات القرن العشرين كان جاسم مراد رئيساً لواحد من أهم الأندية الثقافية فيها هو نادي البحرين في مدينة المحرق، ومن موقعه هذا كان له موقف واضح، مع كل الفعاليات الوطنية والمجتمعية في البلاد، في رفض المطالبات الإيرانية بتبعية البحرين لإيران، وهو الموقف الذي أجمع عليه شعب البحرين وأبلغه للمندوب الخاص للأمين العام للأمم المتحدة الذي زار البلاد يومها لتقصي موقف البحرينيين، فأجمعوا على رغبتهم في أن تكون البحرين العربية دولة مستقلة.

بعد إعلان استقلال البحرين عام 1971 فاز الفقيد في الانتخابات التي جرت لاختيار أعضاء المجلس التأسيسي الذي ناقش وأقرّ أول دستور في تاريخ البلاد، وبعد إقرار الدستور فاز في الانتخابات النيابية التي جرت، ليصبح نائباً في المجلس الوطني (لبرلمان)، وفي المجلسين: التأسيسي والوطني عرف جاسم مراد بمواقفه الواضحة والجريئة، وكان في ذلك نعم الرجل المنسجم مع قناعاته الليبرالية والوطنية، منحازاً للتحديث ولحقوق المرأة ولفصل الدين عن الدولة، ولتحقيق التنمية الرشيدة والعدالة الاجتماعية وحرية الرأي والضمير والمعتقد.

عبّرت جنازة التشييع الكبيرة للفقيد والحشود الهائلة من الناس التي تتوافد على مقر عزائه عن مدى محبة الناس لجاسم مراد وتقديرهم لمواقفه التي ظلّ وفياً لها حتى لحظة رحيله الأخير.

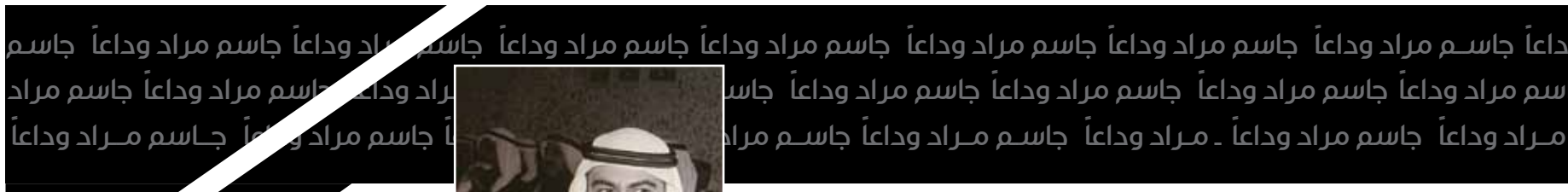

لا ديمقراطية دون عدالة اجتماعية ومساءلة ومحاسبة

جاسم مراد

هذا مقال كتبه الراحل جاسم مراد ونشر في صحيفة الوسط بتاريخ ٣١ مارس ٢٠١٣، وهو يقدم رؤية متكاملة للفقيد حول قضايا الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والشفافية ومكافحة الفساد، إرتأينا إعادة نشره هنا، للتذكير بمواقف الرجل ووجهات نظره في قضايا الوطن والمجتمع الملحة.

«التقدمي»

نتحدث كثيراً عن الديمقراطية، لكن ثمة مبادئ في الديمقراطية واضحة وجلية، وجدير بنا أن نعمل على تكريسها لدى الجميع والتناقش والتباحث حولها باستمرار.

أول هذه المبادئ العدالة، فلا توجد ديمقراطية من دون عدالة اجتماعية، ولا عدالة اجتماعية دون مشاركة شعبية وسلطة شعبية، ولا ديمقراطية دون سيطرة على المال العام ومعرفة كيفية صرفه ومحاسبة ومساءلة كل أوجه إنفاقه.

ثانياً: لا تقدّم ولا تطوّر للديمقراطية دون فصل الدين عن السياسة، فالدين لله والوطن للجميع، واللغة والهوية القومية الجامعة تخلق انسجاماً وتوحداً بين المواطنين أكبر من الدين والمذاهب التي تفرّقهم.

ثالثاً: الالتزام بمبادئ الانتخابات، وهو نظام حديث طوّره الغرب لمنع تسلّط الفرد على الجماعة، وهو مقترن بدفع الضريبة، ومن يدفع الضريبة له حق الانتخاب والمشاركة، فلا تمثيل دون ضريبة.

ولهذا المبدأ مقاربةٌ في تراثنا العربي والإسلامي «خذ من أموالهم صدقةً تطهّرهم وتزكّيهم...»، «وفي أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»، وهذه الأموال تؤخذ من ربح الميسورين والأغنياء لصالح الحكومة المنتخبة من قبل الشعب لصالح الشعب من أجل ترسيخ الديمقراطية والعدالة وإدامة الاستقرار وزيادة الإنتاج. ولدينا نموذجٌ في البحرين يوضّح معنى ذلك، فمثلاً نرى في انتخابات الغرفة التجارية، يتم انتخاب أعضاء مجلس إداراتها بموجب ما يمتلك الأعضاء من سجلات تجارية، أي بمقدار رأس المال، ومن يملك أكثر يحصل على أصوات انتخابية أكثر، في مقابل قيام الأعضاء المنتخبين بالعمل لصالح شريحة التجّار والدفاع عن مصالحهم وعدم التضييق عليهم في القوانين والرسوم وغيرها.

الديمقراطية والانتخابات

في الديمقراطية الغربية، نجد أن الأحزاب ذات البرامج السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي يتمتع فيها الفرد بالتعليم والوعي السياسي (كلهم متعلمون تقريباً)، يصوّت الناخب للحزب الذي يطرح برامج يقتنع بها، وهي ممارسات ترسّخت مع الزمن وأصبح الحكم يتوالى بالانتخابات المتعاقبة ويتعلّم من تجاربه باستمرار وينقّحها ويصلحها من أجل مزيدٍ من الديمقراطية. وقد جرى فيها إبعاد الدين عن السياسة أو عدمِ خلط هذا بذاك منذ زمن طويل (أنّى نحن من ذلك؟)، باعتبار أن الدين شأن مقدّس، بينما السياسة شأن دنيوي يعتمد مبدأ فن الممكن لحل مشاكل الناس الدنيوية. فالدين هو المعاملة وهو الأخلاق، وهو علاقةٌ بين المخلوق والخالق لتدريب الضمير على الحق والعدل والمساواة والاستقامة، وفي الشرق نرى أن الدين تم تسييسه واستغلاله لتهييج العامة وجر أصواتها الانتخابية لصالح هذا المرشّح أو ذاك، ما يعمّق التعصب الديني والمذهبي ويساهم في تجزئة الشعب وتفكيكه وإشغاله بتوافه الأمور، وإفقاره ونهب ثروته.

فن الممكن

إن هذا المبدأ مهم لفهم السياسة، وأغلب الناس للأسف يجهلون معنى فن الممكن، وليس لديهم الوعي الكافي للتعاطي معه، وفي الغالب يتأثرون بانتماءاتهم واتجاهاتهم القبلية والمذهبية وبتأثير من سطوة رجال الدين، يشيعون العنصرية والتعصب الديني والمذهبي، ليسودوا الدهماء أو العامة، لصالح فئات ضالّة في المجتمع ليس لديها من العلم شيء. ويستغل الأغنياء أيضاً هذا الوضع فيشترون أصوات الفقراء والمحتاجين وكل من هو على استعداد لبيع ضميره في مقابل إشباع طمعه للمال.

ومن ملاحظاتي على الانتخابات في العالم العربي، هي أن المتعلم الواعي لا يذهب إلى صناديق الاقتراع، ويترفّع عن الاصطفاف في تلك الطوابير ليدلي بصوته، وذلك لإحساسه بمساواته مع الجاهل والأمي الذي يُقاد من عاطفته الدينية أو نزعته القبلية أو حاجته المالية، والذي لا علم له ولا فهم في السياسة أو الاقتصاد بسبب تدنّي تحصيله العلمي والمعرفي، وهذه أحد أكبر مساوئ العملية الانتخابية. وهي لا تقل سوءاً عن استغلال المال السياسي للتحكم في الانتخابات، فتجد مرشّحاً مسنوداً بهذا المال أو بفضل الفتاوى الدينية والقبلية. إن العملية الانتخابية التي جرت على مدى سنوات في مجتمعاتنا العربية تحتاج إلى إعادة نظر وغربلة وتجديد وتطوير، انطلاقاً من دراسة أوضاعنا وأخطائنا وأسلوب تفكيرنا ومستوى تعليمنا، وابتكار أساليب تلائمنا لصالح العملية الانتخابية والديمقراطية.

لذا فإنني أقترح عدم مساواة الأمي بالمتعلم في الصوت الانتخابي «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»، فمن غير المعقول أن يكون للناخب الحاصل على شهادة ابتدائية أو ثانوية، صوتٌ كصوت الناخب الحاصل على شهادة جامعية أو دكتوراه؟ فمثلاً يجب أن يمنح صاحب شهادة الابتدائي صوتاً، والجامعي صوتين، وصاحب الماجستير والدكتوراه ثلاثة أصوات، على أن يكونوا من أصحاب الشهادات المعتمدة وليست تلك المزوّرة أو المشتراة كالتي نسمع عنها كثيراً هذه الأيام.

إن هذا النظام باعتقادي يحول دون استغلال العامة وبسطاء الناس، وهنا يجب أن يكون التصويت إلزامياً للجميع، وعلى الناخب غير المقتنع أن يرمي ورقة بيضاء إن شاء.

ثانياً: تحدد مدة الانتخاب بأسبوع، وتوضع الصناديق بشكل شفاف وفي أماكن عامة وتُحرس جيّداً، وبإشراف أمني ودولي إن أمكن لخلق الثقة لدى الناخب أو حتى لا يتقاعس الناخب عن الذهاب إلى مراكز الانتخاب بسبب قصر مدتها، فالناخب العربي ثبت أنه لا يثق بالانتخابات ويرى أنها مزوّرة، وهذا هو سبب تدني نسبة المشاركة فيها من قبل الشعب وخصوصاً المتعلمين منهم.

ثالثا: يمنع منعاً باتاً استغلال الأحزاب أو الجمعيات ذات التوجه الديني في الانتخابات. كذلك يمنع استغلال المال في شراء الأصوات وشراء الذمم، مع ضرورة إحكام الرقابة على ذلك ومحاسبة من يقوم بخرق ذلك بموجب قانون رادع وصارم، وكل رجل دين يرشّح نفسه عليه أن يتخلى عن بزته الدينية ويخاطب الناس بلغة علم السياسة ومصالحها الدنيوية، وجدير به أن يكون ملمّاً بعلم السياسة ودارساً لها، والمرشّح الذي لا يحظى بثقة الناخبين وعقولهم لا يحترمه أحد، لا الشعب ولا الحكومة.

إن هذه مجرد آراء لا أتمسك بها، إنما أرى أنها قابلة للنقاش والتشارك حولها، استخلصتها من تجربتي الشخصية ومن مشاهداتي لأحوالنا السياسية والانتخابية، فإن كانت صالحةً، أتمنى أن يؤخذ بها، وإن لم تكن كذلك فأتمنى سماع أو قراءة آراء أخرى مختلفة أو متفقة حولها... وبهذا تعم الفائدة على الجميع.

(قف)

السودان: تاريخ نضالي ممتد

لم تأتِ انتفاضة ١٩ ديسمبر التي شهدتها مدن السودان المختلفة من فراغ، بل كانت امتداداً لهبات جماهيرية ضد ديكتاتورية الاسلامويين التي أذاقت الشعب مرّ العذاب وجرّدته من أبسط مقومات الحياة من خبز ووقود وخدمات التعليم والصحة، ونهبت ثروات البلاد حتى أثرت فئة صغيرة من الطفيليين الإسلامويين على حساب الشعب السوداني وبيع ممتلكاته وأراضيه بما فيه ذهب وبترول، وفرطت في السيادة الوطنية.

فهد المضحكي

جاءت انتفاضة 19 ديسمبر امتداداً للتراكم النضالي السابق مثل هبات سبتمبر 2013 ويناير 2018 احتجاجاً على الغلاء وانعدام ابسط ضروريات الحياة بعد أن انهكها الوقوف في صفوف المخابز والوقود والصرافات.. الخ وفشل الحكومة في حل مشاكل الجماهير!

تاريخ شعب السودان وقواه الديمقراطية والشيوعية حافل بالشجاعة حيث استطاع أن يسقط في النصف الثاني من القرن الماضي نظاميين عسكريين عبر ثورتين شعبيتين سلميتين شاركت فيها كافة القوى والفعاليات المدنية السودانية من أحزاب ونقابات واتحادات طلابية إلى جميع تنظيمات المجتمع المدني السوداني.

لقد سقط خطاب الإسلام السياسي المتسربل بالشعار المقدس وسقطت معه ورقة التوت التي كانت تخفي المتاجرة بالدين.. هكذا يقول الكاتب السوداني المستنير تيسير حسن ادريس في تحليل سياسي واضح لما يحدث هناك من انتفاضة شعبية، وفي تحليله هذا يشير إلى العطب الذي حدث في كل مناحي الحياة والظواهر السالبة التي ظهرت في ربع قرن من حكم الاسلامويين، وهو ما كشف حقيقته تيار الإسلام السياسي، وفضح مشروعه الذي لم يتعد الشعارات العقائدية، وبعض الأشواق والأحلام الكذوبة، التي قادت السودان إلى وقوع في حضيض واقع بائس، وأتون أزمة وطنية شاملة يستحيل إيجاد مخرج إصلاحي منها أو صياغة عقد اجتماعي جديد لرتق النسيج الاجتماعي دون دعم من حراك تغيير جدري مكتمل الأركان.

ان التجربة السياسية السودانية الحديثة لأكثر من ستين عاماً قد أوضحت ان استسهال حل القضايا الوطنية، وتجنب مخاطر المعالجات الجذرية لها يراكم من تعقيداتها، وله تداعيات خطيرة على وحدة وتماسك الدولة خاصة والمجتمع السوداني يتميز بالتنوع العرق والثقافي والديني، وما انفصال جنوب السودان إلا أحد الشواهد التي تؤكد هذه الحقيقة، ان هياكل الدولة ومؤسساتها تشيخ ويصيبها العجز في ظل النظم الفاسدة، التي تعجز عن القيام بإصلاحات حقيقية تقصى سلبيات التجارب الماضية وتحافظ على إيجابيات ارث التراكم الحضاري.

لقد اصابت سياسة (التمكين) التي انتهجتها الحركة الإسلامية فجر استيلائها على السلطة عام 1989 الدولة السودانية وهياكلها بأسقام عديدة، أدت إلى تلاشى قوامها الناظم، ولا خيار أمام الشعب اليوم سوى إعادة انتاجها من جديد وهو خيار لا شك صعب ومعقد، فالثورة عملية هدم وبناء استثنائية تفرضها شروط موضوعية غير خاضعة للرغبات، هذه اللحظة يعيشها السودان اليوم، وهي لحظة فاصلة تجاوزت فيها شروط الواقع الماثل بكل تعقيداته منطق الحلول الترقعية.

يرى بعض المحللين أن الضغوط التي أدت إلى الانفجار الحالي لم تكن وليدة الأسابيع الأخيرة بل ان كل شيء بدأ في عام 2017، حين انهار الجنيه السوداني، أمام العملات الأجنبية وتحديداً الدولار، ما تسبب في موجة غلاء ضربت الأسواق السودانية، لا سيما في السلع الأساسية، وكشف البنك في تقرير مشترك مع وزارة المالية السودانية حول استراتيجية خفض الفقر، ان المتأخرات المستحقة للمؤسسة الدولية للتنمية بلغت (700) مليون دولار، بينما بلغت المستحقات لصندوق النقد الدولي ملياري دولار.

وبحسب تقرير تقييم للاستراتيجية المرحلية لخفض الفقر فإن نسب الديون الخارجية أعلى من الحدود الاسترشادية حيث بلغت (166٪) من اجمالي الناتج المحلي مقارنة بالحد البالغ 36٪، وبيّن التقرير تدهور في جميع المؤشرات بعد التراجع الكبير في اجمالي الناتج المحلي والايرادات الحكومية، وشدّد على ضرورة إيجاد آليات لتخفيف الديون للحد من الفقر، وكشف البنك الدولي في تقرير له بأن السودان لا يزال يعاني من ضغوط الديون الخارجية التي بلغت (54) مليار دولار منها (85٪) متأخرات.

من المؤكد ان ما يحدث في السودان لا علاقة له بالمؤامرات الخارجية، بل بارتفاع أسعار الخبز والوقود، والحريات السياسية وإقامة دولة المواطنة المدنية الديمقراطية وتحقيق التنمية الشاملة والعدالة الاجتماعية، سيما وأن الأوضاع السياسية ليست بأفضل من الأحوال الاقتصادية والمعيشية، حيث يرفض الشعب التجديد لولاية رئاسية جديدة في انتخابات عام 2020.

بين الديموقراطية والاستبداد

ترجمة: سوسن حسن

بقلم: Jean Albert

اسمه كلود لوفورت، و هو من دون منازع المفكر السياسي الأكثر خلوداً في القرن العشرين. كرّس كلود جل حياته الأدبية حول كلمتين: الديموقراطية والاستبداد، وعلى خطى حنة آرنت سار في تعميق نظريته حول هذه الظواهر. لقد كان مناضلاً تروتسكياً في 1940، إلا أن هذا المسار لم يكن بمنأى عن انتقادات الاتحاد السوفييتي والتنظيم الشيوعي، فضلاً عن انتشار التفرقة في أوساطه. اضطر كلود الى ترك هذه الحركة، وأجهد النفس لخلق حركة فكرية مستقلة أكثر حرية.

ما هي الديموقراطية ؟ و ما هو الاستبداد ؟ للجواب على هذين السؤالين، خطّ كلود مقالاً بعنوان «مسألة الديموقراطية» وبدأه بتساؤل حول نظرية السيادة، أصل الفلسفة السياسية الحديثة. نحن لم نتردد عن تعريف الديموقراطية أو وسمها ب " قوة الشعب"، ولخصناها في نوعين: الليبرالي والشعبي. ركز لوفورت على الشعب في دراسته، وتساءل عن أنواع السيادة في الديموقراطية التي لا يجب أن تمارس أو أن تتلخص في شخص معين. السيادة الديموقراطية هي بمثابة مساحة القوة الفارغة لأن لا أحد يستطيع الإدعاء بأنه الشعب و إلا لكنا نناقش نظاماً آخر الآن. عدم الثبات والغموض هي أحد صفات السيادة الديموقراطية الرئيسية، عكس النظام الاقطاعي القائم على سيادة الأمير، حيث القوة تعطي شكلاً للمجتمع. لهذا، كانت هناك معرفة ضمنية ، و لكن مرنة لما يمثله المرء بالنسبة للآخر، وإعمالاً لذلك ولدت ثورة الديموقراطية و أصبح مكان القوة فارغاً، حيث منع منعاً باتاً على المسؤولين نسب القوة لهم.

الديموقراطية خلقت حياة سياسية جديدة، وهي ما يطلق عليها لوفورت مسمى «تأسيس الصراع» ، كون مركز القوة شاغراً، وغير قابل للإدارة. وبشكل موازٍ، نلاحظ على الصعيد المعرفي والاجتماعي، بأن ولادة الديموقراطية أحدثت استقلالاً في كافة المجالات. إذاً هنالك ظاهرة سياسية واقتصادية.

ماذا نستفيد من ذلك كله؟ المهم بنظري، هو تأسيس الديموقراطية بناء على تفكيك اليقين، فهي المنشئ لتاريخ مجهول يصنع من خلاله الأفراد قوتهم، قانونهم، معرفتهم وعلاقتهم مع بعضهم البعض. ما يجعلني أحكم ، هو بقاء و انتشار سؤالٍ لا يملك جوابه، لا عمل يعيد اليقين ولا إيديولوجية". هذا ما قاله لوفورت في دراسته.

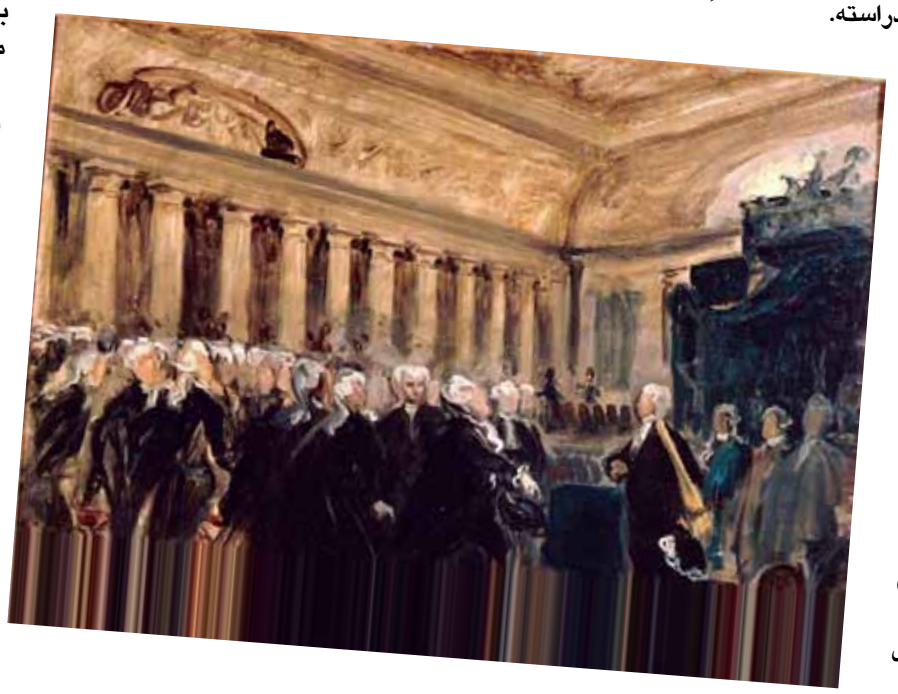

ولتعزيز فكره، بإمكاننا العودة الى الأدب، ففي أعقاب الثورة الفرنسية والحقبة الرومانطيقية، نتحدث عن الإحباط الذي عَم العالم. كلمة الإحباط تعود إلى عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر الذي استخدمها للإشارة إلى عقلانية المجتمعات التي أقصت غير المتوقع والساحر في إنشاء حقيقتها. أصبح هذا الإحباط مرادفاً للندم ومتهماً بقطع علاقة الإنسان بالإيمان في المجتمعات الحديثة. هل نندم على الفرح ؟ وهو المقترن بتناغم الماضي الذي نطالب بمرحلته الدينية. الصراعات استمرت في القرون الوسطى ولكنها عمّقت معنى المسيحية.

نظن أننا نادمون على رحيل القديس ونحن نادمون في الحقيقة على ضياع المقدس. نسيء فهم الديني والمقدس، فهذا الأخير يتكوّن من مجموعة قيم نستطيع أن نعيش من دونها، فهناك ما هو مقدس وغير ديني. لنأخذ رواية «العد التنازلي» لويسمانس على سبيل المثال، حيث فنان يبحث عن الجمال المتكامل في كل شيء، و يراه في مراجع كثيرة لها علاقة بالقرون الوسطى والفن المسيحي . يعاني هذا الفنان من الملل، فلا شيء يعجبه، لا الحاضر يروق له ولا الماضي، فيصيبه هوس العثور على المقدس. شاء القدر أن تقود كتابة هذه الرواية إلى المسيحية، ليعتنقها ويسمانس.

هذا الاعتناق أدى الى تحول سياسي، فلطالما كان ويسمانس رافضاً للحداثة والديموقراطية، مطلقاً عليهما مسمى الأنظمة الرديئة. لم يغير ويسمانس رأيه، إلا أننا رأينا علاقة جديدة تنشأ بينه وبين السياسة من خلال رواية القديسة الهولندية ليدوين دو شيدام في العصور الوسطى التي ظلّت طوال حياتها تعاني من المرض، و مع ذلك بقيت مثالاً للشجاعة والإرادة والحب . هذه القيم الجميلة نمت وسط أوروبا منشقة بالصراعات السياسية والدينية لتخلق وصلة جديدة بين الاجتماعي والروحي. القوى السياسية لم تكن قادرة على نشر الإستقرار في أوساط المجتمع وويسمانس نجح في وصف حالة الفراغ أهمية الرجوع إلى القديسين المسيحيين ووظيفتهم في تأسيس معانٍ واضحة للبشر. ما هو أهمَّ من ذلك كله، هي طبعانية ويسمانس الذي كان مقرباً من مدرسة إميل زُولا قبل أن ينفصل عنه. جسّد ليدوين في الرواية ممزق من الأمراض وويسمانس لا يتردد عن كسوها بالوصف، لأن كاتب الجسد هذا يصف المجتمع في المقام الأول بكل علاته ، فهنالك علاقة وثيقة بين الحياة الروحية والصحة الجيدة لأي كيان مجتمعي. ويسمانس يعي بأن كتابة الجسد تمكن من كتابة الاهتزاز وعدم الثبات السياسي والاجتماعي، و بوضع هذا قبل ذاك، نستطيع إفساح الطريق للإصلاح الكلي عند البدء بالفرد. ليس علينا الاختيار بين جمهورية وبين ملكية وإنما اختيار سياسية إصلاح الجسد المجتمعي من خلال الأدب والإيمان.

لنرجع إلى كلود لوفورت، بالنسبة له، التقسيم المجتمعي مهم، و لكن صورة هذا التقسيم تدل على أن المجتمع الديموقراطي قادر على تضليل ذكرى الجزئي والكلي: "عندما تزداد نسبة انعدام الأمان لدى الأفراد في أعقاب أزمة مالية، أو أزمة حرب، عندما يزداد صراع الطبقات من دون حل على المستوى السياسي، و تفشل السلطات، يأتي طموح شرير ممثل بشخص واحد، بهوية جوهرية لجسد مجتمعي موحد وحكومة محررة من الانقسامات".

في هذه اللحظة، تظهر التولتارية، والحكومة الاستبدادية تشيح بوجهها كقوة لا تهزم، كجسد واحد. أي عنصر نقيض يعتبر عامل انقسام وينبغي القضاء عليه بشتى السبل. السيادة تمارس دورها و تصبح الكل والمرجع الوحيد، لأن الحكومة الاستبدادية تمنح نفسها قوة إلهية، لعدم قدرتها على تحمل انعدام استقرار الأنظمة الديموقراطية. أي جهد لإنعاش الحوار السياسي باطل والاستبداد يمحيه.

لوفورت لم يكن فقط مفكر الديموقراطية وإنما مفكراً لعلم اللاهوت السياسي كذلك، وهو من المفكرين النادرين الذين ربطوا بين علاقة الرغبة الاستبدادية والمصادرة الإلهية، فالأمثلة المعاصرة لا نهاية لها وتتجدد باستمرار. كلود لوفورت أزاح عن الظل من دون تهاون ما يمثله خيار الديموقراطية في زمن الكسل والسهولة. مثال ويسمانس يشير إلى علاقة الأدب بالسياسة اللذين يجمعهما قدر مشترك في هذا الاكتشاف وهذا الفراغ المعاش.

مَنْ هُم أصحاب السُتراتُ الصَفْراء؟

ينتمي أصحاب السترات الصفراء gilets jaunes إلى الطبقة الوسطي المُتماسكة ولكن غير المرئية التي تتمحّور تظلُماتها على زيادة عدم تحمل تكاليف نمط عيشها اليومي. أظهرت الاحتجاجات فشل الرئيس إيمانويل ماكرون Emmanuel Macron في تشكيل إتفاق جماعي في الرأي، ولكن نتيجة لرفض أصحاب السترات الصفراء أنفسهم التعامل مع النظام السياسي فإنهم بِدورِهِم فشلوا في إيجاد طريق للخروج من الأزمة الديمقراطية.

ترجمة:
غريب عوض

اعتاد الفرنسيون على التحركات الاحتجاجية الجماعية المُفاجئة واسِعة النطاق من تَظاهُرات في الشوارع والتي كانت أحياناً عنيفة، وعلى السُلطات–التي تستجيب بإبطال التدابير التي لا تحظى بشعبية. ولهذا فبينما حركة أصحاب السترات الصفراء ربما فاجأت الكثير من الناس، وليس أقلهم الطبقة السياسية، وهذا ليس شيء فريد من نوعه. وبالفعل، إنهُ واحدٌ من الإرث الجديد لمثل هذه التحرُكات التي تتضمن إضرابات عام 1995، وأعمال شغب الضواحي قي عام 2005، ومُظاهرات طلاب المدارس والجامعات في التسعينيات وفي بداية الألفية الثانية. ولم يُسمَع بأي حال من الأحوال أن حركة احتجاج لها تأثير سلبي على الحياة اليومية للناس بما في ذلك إغلاق الطُرُق، ونقص السِلع، وأضرار تلحق بالمُمتلكات مع ذلك يجب أن تَظَل تَحظى بدعم أغلبية كبيرة من السُكان. إن المسؤولية الكُبرى في إحداث الفوضى لا تقع على المُتظاهرين بقدر ما تقع على الحكومة التي فشلت في الاستماع وفي التَحرُك، أو على عاتق الشُرطة لإدارتهم غير الكفؤة للعُنف في التظاهُرات.

في فرنسا غالباً ما يُعتبر السُخط الشعبي مُبرراً إلى حد كبير، على الرغم من أنهُ قد يكون من الصعب فهم من تم تعبئته، وبأي معنى يُعبّرون عن استياء مُشتَرَك بين أغلبية الشعب الفرنسي. في عام 1995، كان هناك حديث عن "إضراب بالوكالة" كتفسير لدعم إضراب عُمال وسائل النقل، على الرغم من المُضايقات الخطيرة. نَظَرَ بعض الناس إلى الإضرابات على أنها فُرصة لمُعاقبة جاك شيراك Jacques Chirac، الرئيس المُنتخب آن ذاك، على وعدهِ بالتخفيف من 'الأنقسام الاجتماعي' ولكن هو الذي في الحقيقة طبق التقشُف. والأكثر رواجاً، هو أن الثقافة السياسية الفرنسية مُتسامحة جداً مع هؤلاء الذي يُشجعون الخلافات الاجتماعية، بل هي تعتبر هذا دليل على حيوية الديمقراطية.

علاوة على أن حركة النقابات العُمالية، التي مُنذُ القرن التاسع عشر أصبحت في مُنافسة مع العمل المُباشر لأشكال من النقابية الفوضوية، ظلت ضعيفة عددياً في فرنسا ولم تستطيع أبداً أن تتساوى مع مستويات العضوية التي كانت عموماً موجودة في الديمقراطيات الاجتماعية (أكبر النقابات العُمالية في فرنسا 'الكُنفيدرالية الديمقراطية الفرنسية للعمل' CFDT، تضُمُ أقل من مليون عضو).

ليس من المُفاجئ إذن، أن تنشأ حركة اجتماعية من القاعدة الشعبية بطريقة غير رسمية وخارج أي هياكل نِقابية أو سياسية. لقد رأينا بالفعل، عندما حشد الطُلاب، درجة من التنسيق لم تتمكن النقابات العُمالية من تحقيقها. حَرَصَت حركة الطلاب على تطوير مطالبها بشكل أكثر فاعلية من أي منظمة راسِخة (إلغاء قانون عام 2006 المُتعلق بعقد التوظيف الأول، وفرض تخفيضات في الأُجور على العُمال الشباب).

في السنوات الأخيرة، كان واضحاً حتى الحركات التي كانت تُسيطر عليها النقابات كانت في كثير من الأحيان تطوقها قواعدها الشعبية المحلية، غير قادرة على توفير هيكل لها، ناهيك عن الاستفادة من الناحية الشرعية.

وسايَرَتْ النقابات الحركة الطلابية لإعطاء الانطباع بأنها لا زالت تلعبُ دوراً، ولكن من الواضح أن تأثيرها يتلاشى تماماً. بيدَ إن أصحاب السترات الصفراء تجاوزوا عتبة في رفضهم للتمثيل السياسي.والنقابي. حتى هذهِ اللحظة ليس هناك أي وفد للحركة مستعد للتحدث إلى رئيس الوزراء – فالبعض منهم بسبب رفضهم فكرة 'تمثيل' القاعدة الشعبية، وآخرين بسبب أنهم تلقوا تهديدات من خلال وسائل الاتصال الاجتماعي. وهذا أدى إلى طريق مسدود تماماً.

الجُغرافيا والسياسة

إن العالم الجديد من الشبكات الاجتماعية والأجهزة الرقمية تُؤثرُ أيضاً في المناضلين والعمل السياسي. وفي ما يتعلق بحركة أصحاب السترات الصفراء، كانت عريضة على الإنترنت في نهاية شهر تشرين الأول/أكتوبر تُطالِب بتخفيض أسعار الضخ لوقود المُحركات.

وتم نشر الإلتماس بَشكل واسع على شبكات التواصل الاجتماعي، حيثُ حصل على مليون توقيع في بضعة أيام فقط. وبالتالي، كان من الصعب بشكل خاص على الحكومة أن تتوقع القوة التي ستتطوّر بِها الحركة، أو أن تفهم كيف

بقلم:
Marc–Olivier Padis

تستجيب للمطالب. كما تم تهميش وسائل الإعلام التقليدية: فقد مُنِعَ الصحفيون، لاسيما أُولئك الذين ينتمون إلى القنوات الإخبارية التلفزيونية، من الوصول إلى المناطق المُحتلة، وتعرض البعض منهم للإعتداء على يد أصحاب السترات الصفراء.

أكد جميع المُراقِبون على تنوع حركة أصحاب السترات الصفراء، وانتشارها في جميع أنحاء البلاد وعلى افتقارها إلى التنسيق الواضح وإلى أي نوع من المتحدثين الرسميين. وبالتالي، تم تعميم المعلومات الخاطئة دون أي إمكانية للإنكار أو التصحيح. ووفقاً للتقارير التي ظهرت في الصُحُف، والوضع في المتاريس على بُعد بضعة كيلومترات على حِدة اختلف بشكل ملحوظ. في واحدة منها قد يكون الجو ودوداً والسلوك معقول تماماً، بينما في أُخرى قد يكون هناك توتر بل وحتى عُنف. وفي النهار قد يكون لدى أصحاب السترات الصفراء أحياناً مظهر جانبي مُختلف عن تلك الاحتجاجات الليلية.

كان هناك الكثير من التعليق حول جُغرافية الاحتجاجات، كانت دائماً تكون وفقاً لمعلومات ناقصة ومشكوك في صحتها. البعض اعتبرها ثورة قامت بها الدوائر الريفية في شرق ووسط فرنسا. وبالفعل فَإن وسط المُدُن والضواحي لم تتأثر: على سبيل المثال، لم يكن هناك أي متراس في كامل حي Seine–Saint–Denis إلى الشمال الشرقي من باريس، وهي منطقة بها أعداد كبيرة من الأحياء الفقيرة والمساكن الشعبية. ولكن، مع تنامي الحركة، أصبح هذا التحليل مُختلَف عليه، بعد أن تم عرض أن الغالبية العُظمى من المجموعات التي كان بها متاريس كانت قريبة من المناطق الحضرية الكبيرة.

كان من المُرجّح أن يلتقي المُتظاهرون في مراكز التسوّق، أو في محطات البنزين، في حين أن المتاريس نفسها كانت بشكل رئيسي على الدوّارات. وترمُز هذه المواقع إلى التحرُك الذي يُحدد نمط حياة أصحاب السترات الصفراء، وهم يتنقلون يومياً بين مراكز المدينة والمجمعات السكنية والقُرى في الأرياف والعقارات التجارية والمراكز التجارية، وهلُمَّ جرّا.

ولذلك فمن المنطقي أن تكون السيارة في قلب الاحتجاجات من جانب الأسر التي تشعر أنها تُعاني من مُضايقات التنقُل. إن قرار الحكومة هذا الصيف بتخفيض السرعة المُحددة على الطُرُق الرئيسية تسبب في إحداث استياء في جميع أنحاء البلاد ونتج عن ذلك تخريب نِصف رادارات السرعة في شوارع فرنسا. ووفقاً لأستطلاعات الرأي، تسبب هذا الإجراء، الذي لا يَحظى بشعبية كبيرة، في انخفاض كبير في الرضا عن الحكومة. إن مثل هذه القضية المُبتذلة بعيداً جداً عن المسائل السياسية الكبرى التي كانت جوهر الحملة الانتخابية الرئاسية، تُظهِر ارتباطاً بثقافة السيارة الخاصة كرمز للأستقلال الفردي ('لا تلمس سيارتي Don't Touch My Car!').

ماذا يمكننا أن نقول عن أصحاب السترات الصفراء في المصطلح الاجتماعي؟ مَنْ هُم؟ وحقيقة أن الحركة ليست كبيرة جداً (التي يبلغ عدد أفرادها 350،000 فرداً) وتنتشر في جميع أنحاء البلاد يجعل من الصعب تحديدها. غالباً ما تكون تصريحات أصحاب السترات الصفراء غامضة أو مُشوَشة، ولم يتمُ التفكير في مَطالِبُها بوضوح (تقليل الضرائب، وزيادة الخدمات العامة). وفي نهاية تشرين الثاني/نوفمبر، قام فريق من الأكاديميين بإجراء تحقيقاً في مناطق بوردو، و مرسيليا، و كاين، و الراين، و مونبلييه، ومنطقة غرونوبل في محاولة لفهم الحركة.

على الرغم من كونها عيّنة صغيرة جداً (166 استبانة تم توزيعها في 24 نوفمبر و 1 ديسمبر) التي ربما لا تكون تُمثّيلية (رفض الكثيرون الإجابة)، فإن المسح الوحيد حتى الآن الذي قد تعامل مُباشرةً مع النُشطاء (بدلاً من المُتعاطفين معهم). أظهرَت الإستبانة بأن أصحاب السترات الصفراء هُم الناس الذين كانوا يعملون والذين يمكن تسميتهم بالطبقة العاملة أو الطبقة المتوسطة الدنيا. المجموعة الاجتماعية المُمَثَلة بشكل أفضل في الحركة هي الموظفون الذين يتقاضون رواتب (45٪ من هؤلاء المُشاركين، في مُقابل 27٪ من مجموع عُمال فرنسا). كانوا أكثر بكثير من العُمال الصناعيين، الذين يُشكلون 14٪ من المُشاركين. كما كان الحِرفيون وأصحاب المتاجر وصِغار التُجار الذين يعملون لحسابهم الخاص مُمثلين تمثيلاً جيداً (14٪ من الذين تم سؤالهم، مُقابل 6.5٪ من مجموع عُمال فرنسا).إن رُبع الذين شاركوا في الحركة مُتقاعدين وهم مجموعة نادراً ما تُشارك في هذا النوع من المُظاهرات. أما أُلئك الذين تزيد أعمارهم عن 65 عاماً، فقد شكلوا 17.3٪ من الذين أجابوا على أسئلة الاستطلاع مُقابل 6.2٪ فقط لمن هُم في سن ما بين 18–24 عاماً. وذكر نُصف الذين شملهم الأستطلاع أنهم دفعوا ضرائب (وهي نسبة تكاد تكون مُماثلة لتلك الخاصة بكامل سُكان فرنسا) وأن 85٪ منهم قالوا إنهم يملكون سيارات. لم ينتمي المُشاركون إلى القِطاعات الأكثر حِرماناً من السُكان.

بالنسبة لحوالي نصف الذين أجابوا على الاستبانة (47٪)، كانت حركة أصحاب السترات الصفراء هي أول عمل سياسي مُباشر لهم على الإطلاق. من غير المُستغرب أن يرفضوا التمثيل التقليدي: 64٪ يعتبرون النقابات ليس لها مكان في الحركة، بينما 81٪ يرفضون الأحزاب السياسية. ومن وجهة نظر الولاءات السياسية، كان الرد الأكثر تكراراً هو الإدعاء بأنهُ «ليس يميناً أو يساراً» (33٪). ومع ذلك، فإن 15٪ من الذين قدموا ولاءً سياسياً قالوا إنهم في أقصى اليسار، مُقابل 5.4٪ من أقصى اليمين؛ ادعى 42.6٪ أنهم يساريون و12.7٪ أنهم يمينيون. هذه الأرقام لا تتناسب إلى حد كبير مع نتائج استطلاع آخر، هذه الفترة من السُكان الفرنسيين عموماً، والذي وجد أن هناك دعماً أقوى لأصحاب السترات الصفراء بين أُلئك الذين يزعمون أنهم قريبون من اليمين المُتطرف أكثر من قربهم من الناس القريبين من اليسار المُتطرف. وفي منتصف شهر كانون الأول/ديسمبر، كان حزب فرنسا الأبية (أقصى اليسار) و حزب الجبهة الوطنية (أقصى اليمين) الحزبين السياسيين الوحيدين الذي يدعوان لمزيد من الدعم والتأييد للحركة – مُصادفة للمتطرفين التي إلى حد الآن لم يسبق أن حدثت في فرنسا. وأثناء التظاهُرات والمُصادمات العنيفة مع الشُرطة، اقتربت تصرُفات المُتطرفين من كلا الطرفين من التلاحُم.

الشكاوي الإقتصادية

لذلك فإن حركة أصحاب السترات الصفراء واقعية وغير واقعية. فهي واقعية لأن نقطة إنطلاقتها كانت سِعر وقود المُحركات. ولكن غير واقعية، لأن مطالبُها تطورت إلى حد أنهُ في الحالات الأكثر تطرفاً، كان الناس يُطالبون أن يتنحى الرئيس عن منصب الرئاسة وأن يقوم نظام سياسي جديد. إن الذي في الحقيقة حدث هو أن ثلاث موضوعات مُتصل بعضها ببعض، ما وسع نطاق الاحتجاجات. كان أول مصدر للاستياء هو 'الضريبة الخضراء'، بتعبير آخر المُشاركة في تحمل تكاليف تخفيض استهلاك الطاقة. كان القصد من فرض ضريبة على وقود المحركات (المعروف بإسم 'مُساهمة طاقة المناخ' هو تشجيع المستهلكين على تغيير سلوكهم ('سعر مُفرد'، كما يقول خبراء الاقتصاد)، من أجل تفضيل أنشطة التي كانت رؤوفة بالبيئة أو التي لها تأثير أقل على الاحتباس الحراري الكوني.

كان من المُقرر أن تزداد هذه الضريبة تدريجياً من الآن وحتى عام 2022م. فقد حصلت على 6.4 مليار

يتبع

يتبع

يورو من العوائد في عام 2017، و 9.1 مليار يورو في عام 2018 وكان من المُفترض أن ترفع ضعفُها في عام 2022. ومع ذلك، تم تطبيق هذه الزيادة في نفس الوقت مع ارتفاع أسعار النفط العالمية، إلى جانب الزيادة المُتزامنة في سعر الديزل على وجه التحديد. في الواقع بعد التشجيع على استخدام أكبر للديزل لأنهُ كان أكثر فائدة من الناحية الضريبية (كان معروفاً أن الديزل تُحتسب عليه ضرائب أقل مما يُحتسب على البنزين)، بدأت السُلطات الفرنسية تتحرك في الاتجاه المُعاكس، مما جعل الديزل يتوافق مع البنزين من حيثُ الضرائب، كانت إستراتيجية ضرورية ولكن تم إعدادها على نحوٍ سيء ولا تُحظى بشعبية.

وبالتالي، فإن هؤلاء السائقين الذين يستخدمون سياراتهم كثيراً والذين كانوا يجدونها من المُفيد قيامهم بقيادة سيارات الديزل، شعروا أنهم يتعرضون للعقوبة بشكل مُضاعف: من ناحية، بنهاية المزايا المسموح بها سابقاً إلى الديزل، ومن خلال الزيادة العامة في سعر الوقود من ناحية أُخرى. وبعبارة أدق: رفض قسم من السُكان قبول إجراء يُنظَر إليه على نحو غير عادل حيثُ يؤثر على أُلئك الذين لا بديل لديهم عن السيارة الخاصة، رغم أنهم قد يفهمون أهمية ضرورة اتخاذه الإجراء لمكافحة الاحتباس الحراري الكوني. في هذه المرحلة، كان رد الحكومة هو تعليق الزيادة المُتوقّعة في مُساهمة طاقة المناخ لعام 2019 بكامله. ولكن هذه الإستجابة لم تكُن كافية لأنهُ في هذا الأثناء، اتخذت مَطالب الحركة بُعداً آخر.

إن ما كان قد حدث هو أنهُ ما وراء مسألة استخدام السيارة الخاصة، كان أصحاب السترات الصفراء قد أشاروا إلى مزيد من القلق العام عند الطبقات المُتوسطة الدُنيا: ركود القوة الشرائية. وحتى بالنسبة للأُسر ذات الدخل المُتوسط، فإن الإنفاق الأساسي (المسكن، والتأمين، والمواصلات، وسداد القروض، وما إلى ذلك) أصبح عبئاً أكثر من أي وقت مضى. والنتيجة هي أن الدخل المُتاح يتناقص. وبدون أن تجد نفسها بالفعل في فقر مُدقع، فإن نسبة كبيرة من الأسر تضطر إلى التقليل من مصاريفها بشكل ملحوظ. والحقيقة هي أنهُ بعد أزمة عام 2008، كان دخل المعيشة للأُسر راكداً وفي نفس الوقت الذي ازدادت فيه الضغوط الضريبية تحت حُكم الرئيس السابق François Hollande فرانسوا هولاند. ورفعت حكومة إيمانويل ماكرون Emmanuel Macron الضرائب أكثر، الأمر الذي أثر على المُتقاعدين بشكل خاص. ولكن من خلال إلغاء ضريبة التضامن على الثروة الموروثة (ISF) بحجة أن هذا من شأنه أن يُعزز الاستثمار، فإن الرئيس إيمانويل ماكرون قد تدخلَ في الوقت نفسه برمز للعدالة المالية. وهكذا خلق إنطباعاً بأنهُ يُنفذ سياسة مالية من جانب واحد: تفضيل المداخيل العالية ونسيان الطبقة المُتوسطة الكادحة. وعلى الرغم من تضمينه في إعفاءاته الرسمية التي ستؤثر على 80٪ من دافعي الضرائب (الإصلاحات في ضريبة العقارات، المدفوعة على المستوى المحلي)، فإن التأثير لم يتم الشعور به بعد. وعلى الرغم من أنهُ وَعَدَ بإجراء "حواراً عاماً كبيرَ" حول الإنفاق العام (طريقة غير مُباشرة للإشارة إلى الاستقطاعات الإجبارية من الأجور)، إلا أن رفض ماكرون لإعادة إنشاء صندوق الأمن الداخلي ضريبة تُحقق القليل من الإيرادات، لا يُشجع الاستثمار ويخلق منافي للضرائب ما يعني أنهُ لم يستجيب بشكل كامل لغضب أصحاب السترات الصفراء.

فشل ديمقراطي

وتتعلق مطالب أصحاب السترات الصفراء أيضاً بشكل مُباشر بقضايا ديمقراطية. فهي تُعبرُ عن حقها في أن يُنظر لها ويُسمع رأيها – والتي هي في النهاية الرسالة التي نقلتها السترة الصفراء بحد ذاتها. إنهم يُطالبون برؤية واحترام واعتراف. وبالتالي، تنطوي الحركة على انتقادات لعدم اهتمام من هم في السُلطة، وهي إشارة واضحة إلى نظام البلاد شديد المركزية. ويتم التعبير عن الغضب ضد رموز باريس ويتم توجيهه إلى إتخاذ القرار السياسي بشكل رأسي للغاية كشكل من أشكال الاحتقار. ويتم توجيه هذا النقد نفسه مُباشرةً إلى الرئيس، الذي يُنظَر إليه على أنهُ مُتعجرف وبعيد وغير مهتم بالصعوبات التي يواجهها الناس في حياتهم اليومية.

ويدفع الرئيس ماكرون ثمن قلة خبرته السياسية، وافتقاره إلى الجذور المحلية، ولكن أيضاً لإنفراده بممارسة السُلطة والمسافة المدروسة. مثلُ هذا الفشل هو الأكثر إثارة للدهشة بالنظر إلى أنهُ، خلال حملته الانتخابية، أدرك الحاجة إلى مُمارسة السياسة بشكل مُختلف. على سبيل المثال، في بداية حملته، امتنع عن تقديم أي بيان، وبدلاً من ذلك، في 'مسيرة ضخمة' تهدفُ إلى جمع آراء الفرنسيين، زعم أنهُ 'يستمع' إلى الشعب الفرنسي، حتى يتمكن من صياغة مُقترحاته. في حين أنهُ تمكّنَ من القيام بحملة تشاركية (مُستوحاة من استخدام Obama أوباما للجان المحلية)، إلا أنهُ فشل في استخلاص استنتاجات حول كيفية مُمارسة السُلطة. حتى أن ماكرون Macron قام بتهميش حزبه، "الجمهورية إلى الأمام La République en Marche!" الذي كان بمثابة أداة لتجديد الحياة الديمقراطية.

إن الدور المؤسساتي للرئيس، كما هو مُحدد في الجمهورية الخامسة، هو ذلك الذي يُركّز على قدرٌ كبير من السُلطة، ولكن أيضاً على العديد من المسؤوليات. لأن المُستويات المتوسطة من السُلطة ضعيفة تقليدياً في فرنسا، لأن الأحزاب السياسية قد انهارت، لأن البرلمان لا يملك صراحةً سُلطة قرار مُستقلة فعلاً، ولأن الحكومة تتكوّن من شخصيات جديدة ليس لها وزن سياسي كبير، فالرئيس ماكرون في الواقع معزولاً جداً في قمة السُلطة. فقوته المؤسساتية أصبحت هي ضُعفه السياسي. وهو بالتالي يتعرض لغضب شعبي لا سيطرة لهُ عليه، ولا يملك وسائل احتوائه، وهو غير قادر على إجراء أي حوار معه. ومن أجل الخروج من هذه العزلة الخطيرة، كان عليه أن يُعيد اختراع ميزان القوى بطريقة تجعل الديمقراطية حقيقةً لاتخاذ القرارات السياسية. ولكن حتى هذه اللحظة، لم يتم استدراج مثل هذا الاقتراح.

سوف تكون هناك بعض المكاسب الإيجابية للمجتمع الفرنسي الناشئة عن هذه الحركة. ضُعف الهيئات الوسطية، وعدم وجود أية ثقافة حوار أو حل وسط، وعدم الثقة في السياسيين والنُخبة الإدارية جميعها قد تم تأكيدها وربما يزداد الأمرُ سوءاً. ينشأ غضب أصحاب السترات الصفراء من ضيق اجتماعي يمكن من خلاله اتخاذ تدابير تهدف إلى تحقيق العدالة المالية وإعادة التوزيع. ولكن في الوقت نفسه، ظل هذا الصراع الاجتماعي غامضاً وصعباً على الإدراك. إن الرسالة السياسية للمتظاهرين، التي كانت جزئياً غير واضحة، بسبب العُنف. ومن المُؤكد أنها مكنت قسماً آخر من المواطنين بالكاد يسمعونها. ولكن عدم وجود أي تمثيل جماعي أو مُتحدث رسمي، الارتباك حول مطالبها وألالامركزيتها قد ترك رسالتها غير مسموعة.

ما هو التأثير السياسي الذي يمكن تحقيقه على أية حال، من خلال ما هو في الواقع حركة استهلاكية للطبقة الوسطى المُؤتلفة؟ خلال أسابيع التظاهُرات والحواجز، لم يعُد هناك أي حديث عن الضواحي، أو التمييز، أو الإقصاء، أو الفقر، أو الشباب، أو أي سمات أُخرى للضيق الاجتماعي الفرنسي المُتفشي بنفس القدر. لقد تم تعليق مسألة التحول الإيكولوجي وسيكون من الصعب إعادتها إلى صدارة السياسة طالما أنها لا تزال تُناقض التطلُعات نحو العدالة الاجتماعية. تُبيّنُ هذه المُظاهرات مدى صعوبة الوصول إلى توليفة جديدة بين القضايا الإيكولوجية والمنافسة الإقتصادية وحماية النموذج الاجتماعي الفرنسي. فشل إيمانويل ماكرون في إثبات قدرته على تكوين إجماع سياسي واجتماعي جديد في فرنسا. ولكن حركة أصحاب السترات الصفراء لا تُقدم أي مؤشر على ما قد يكون عليه البرنامج البديل. وفي الوقت نفسه، أظهرت استطلاعات الرأي أن الشخص الوحيد الذي يستفيد هي مارين لوبان Marine Le Pen رئيسة حزب الجبهة الوطنية (فرنسا) National Rally. تبدو الأزمة الديمقراطية غير قابلة للحل أكثر من أي زمن مضى.

الإسفنجـــة الغبيـــة

أخبرني ماذا تقرأ أُخبرك من أنت، عبارة شهيرة للكاتب الفرنسي فرنسوا مورياك (١٨٨٥ – ١٩٧٠) نسبها عدد لا بأس به من كتابنا العرب لأنفسهم، وهذا شيء لا حرج فيه، ما دام كل من يتقن لغة أجنبية في هذا الزمن البائس، يسمح لنفسه بسلخها ليبهر أبناء مجتمعه الرافلين في الجهل، وهذا موضوع آخر لا جدوى من إثارته الآن، أمام مناقشة العبارة نفسها التي أرى فيها جانبا آخر أهمله كتّابنا، وقراؤنا سواء.

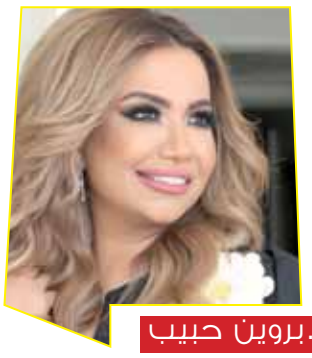

د.بروين حبيب

فهل كل ما نقرأه يكشف عن خبايانا؟ ويعرّف عنّا؟ قبل أكثر من ربع قرن، كان القارئ العربي موجّها ليقرأ ما يسمى بالكتب الدينية، أمّا قبلها فقد وجّه لقراءة الروايات القادمة إلينا من الإتحاد السوفياتي قبل تفككه، وهاتان حقبتان خطيرتان في تاريخ القراءة العربي، وهما مجرّد نموذجين لا غير عن نوع القراءة التي انتشرت عندنا، والتي يمكن إعتبارها "قراءة موجّهة" لقارئ لم يعرف أن يمارس حقه في اختيار ما يريد، كونه ضُبط في الصف منذ بداية حياته لا لفتح عقله على المعرفة بشساعتها بل لبرمجته، فالقراءة أولاً امتصاص للأفكار، ثم مقارنة بين القراءات، ثم مناقشة، ثم بحث عن الحقيقة، ثم استنتاج .

لقد كان من النادر، إن لم يكن من المستحيل، أن نحيد عن الخطّ المرسوم لنا كقراء، وقد قيل إن المجتمعات التي أوجدت معابر سرية لقراءة ما هو مختلف، سُلّطت عليها الحروب لأنّ لا شيء يقضي على العقل غير إدخاله في دوّامة من الرعب.

بالرّغم من أنّ القارئ الحقيقي بإمكانه إنقاذ نفسه من بشاعة الحرب بالقراءة، وقد جَعَلنا الكاتب الأسترالي ماركوس سوزاك نعيش تلك المتعة المسروقة مع طفلة ألمانية سرد الموت قدرها الغريب مع الحرب والكتب في الوقت نفسه.

كانت تلك الرواية التي حوّلها المخرج البريطاني برايان برسيفال إلى تحفة سينمائية سنة 2013، من أجمل الروايات التي خاضت في موضوع قوة الكلمة، باسطة كل أسرارها للعامّة، فلا شيء يخفى أنك ستصبح ما تقرأه، لكن حين ينبع حب القراءة من فضولك، ورغبتك التي لا تحدها قضبان.

منذ الأزل تعلّم الإنسان أن يقرأ رموز الطبيعة ليعيش بسلام أكثر، فعرف أين يضع قدميه ليعرف طريقه على الأرض من خلال قراءته لخارطة النجوم المبثوثة في السماء، وعرف أسرار الطقس وتغيّرات الجو من قراءة حركة الطيور، كان سهلا أن يدوّن ذلك حتى في عمره البدائي ليسهل الحياة على أولاده، لقد كان هدفه حماية نفسه وأترابه من المخاطر المحيطة به، ومن هذا المنطلق تكوّنت معارفه التي أسست للعلم، وللثقافات المتينة، حين كانت الأهداف سلمية محضة.

كل القراءات الأولى كان منبعها الفضول، لكن بعد ملايين السنين من إنتاج المعارف الأولى وتطويرها، تكوّنت أنواع مختلفة من القراءة، أهمها النموذج السابق الذكر، والذي نحتمي بقضبانه غير مدركين تماما أنها قراءة قاتلة للعقل، مشوّهة له، ومعطّله لقدراته العظيمة لتطوير ذاته، من أجل التّخلي عن أدواته البدائية لمحاربة الآخر.

هذا ما يجعل المقولة الشهيرة لموریاك تنطبق عليه أولاً، وعلى نخبة صغيرة أحاطت به في زمنه، وهي تنطبق على أفراد، وربما مجموعات صغيرة مبثوثة في هذا العالم الواسع، لكنّها أبدا لا تنطبق على قارئ أخبار فايسبوك اليوم، والمواقع الملغومة بالمعلومات الخاطئة، والقارئ الذي يعتقد أن المعرفة كلها متوفرة في كتاب واحد لا يجد أصلا الوقت لقراءته، لأن مفهوم القراءة لديه مرتبط بقراءة الكلمات دون بحث عن عمق المعنى...

هي لا تنطبق حتى على هذا القارئ القلق الذي يجذبه الكتاب ولكنّه تائه بين العناوين وأسماء المؤلفين، وهو إن إقتنى كتابا أو كتابين في السنة، فهذا لا يكفي لتصنيفه ضمن دائرة القراء، إنّه مجرّد مُطّلِع، لم تتكوّن لديه بعد رؤية واضحة لفعل القراءة، ولا لخط يبهجَه أثناء قراءاته.

من هذا المنطلق يبدو جلياً أن العبارة أعلاه، والتي ينسبها كاتب عربي (نرمز له بحرف س) مثلاً لنفسه غير نابعة من تجربته، وهي لصيقة بفعل سرقة إحترافية تكشف عن انتكاسة كبيرة لديه، فإن كان الكاتب نفسه ليس بقارئ، فكيف لفاقد الشيء أن يعطيه؟

أليس جديرا بنا أن نتعامل مع هذا القارئ باحترام أكثر؟

نحن لا يمكن أن نكون ما نقرأ تماما، إذا ارتبطت قراءاتنا بتفكيرنا الحر، لهذا يجب أن نتحدث عن القارئ الإنتقائي الذي يختلف تماما عن القارئ الإقصائي الذي يحاكم النص بمجرد أنه لا يتوافق مع أفكاره، وأعتقد أن هذا الأخير هو الأكثر إنتشارا لدينا...

بالطبع يكتسب القارئ جزءاً كبيراً من ثقافته من الكتب التي يقرأها، فمنها ما يمتعه، ومنها ما يهذب نفسه، ومنها ما يعلي سقفه، وكلها تأثيرات تتفاعل مع شخصيته، وثقافة عائلته، ومحيطه، ومناهج التعليم التي ينهل منها علمه، فالعقل إسفنجة عجيبة تمتص كل ما تلامسه، لكنها تعطينا عصارة مركبة لا تشبه أي عنصر نعرفه على حدة مما عرفناه سابقا.

هذا هو سر القراءة الحقيقية، إنها تصنع جانباً صغيراً من شخصية الإنسان، وتجعله هادئا، مفكرا قبل التهور في اتخاذ القرارات، تأخذ بيده، وترتب أفكاره، وتفتح عينيه، فكلما جلس الشخص مع كتابه وأصغى لصوت كاتبه، نمت عنده ملكة الإستماع للآخر، وكلما شعر أنه استفاد مما قرأ، كبرت تجربته، وكلما وجد ما يشبهه وما لا يشبهه في كتاب، ازدادت استقلاليته..!

لنفرض أني توقفت عند قراءة شعر العصر الجاهلي، فهل إن قرأت الشنفرى أو امرؤ القيس أو زهير ابن أبي سلمى حملت جيناتهم ؟ وهل أكون إنساناً قديماً إن ملأت مكتبتي بكل ما هو قديم، فلا زلنا نقرأ شكسبير ونتذوقه، ونرى ماكبث في بعض من حولنا، وما زال هيغو يفتننا بطفلته كوزيت، لكننا مختلفون حتى ونحن نقرأ الكتب نفسها.

ليس ثمة قاعدة تختصر المعاني البعيدة الصعب رؤيتها في هذه العبارة القصيرة، إنّها أوسع من أن تسجن شخصا في علبة سحرية فيها بضعة كتب، فمن نعم الله علينا أنه وضع في عقولنا مصنعاً هائلاً لتدوير الأفكار، وإلا لظلّ الإنسان مكانه، يتدفأ في الكهوف أمام النار التي يطهو عليها ما اصطاده.

أعرف أني أنحو دوما للتشكيك في كل ما أقرأ، لكن هل يجوز أن نتصرّف مثل طيور الببغاء، نردد ما نسمعه؟ ليس عيباً أن نستدلّ بما قاله غيرنا، لكن دون الإعتداء على ملكية أحد، وليس سيئا أن نطرح الأسئلة بشأن استدلالاتنا، فهذا ما يدفع بنا نحو المقدمة التي تشهد التطور الفكري فعلياً.

إنّ وظيفة الأدب ليست إكمال حكاية ما في مخيلتنا، بقدر ما هي بذرة تعطي شجرة، والشجرة تثمر حين تجد من يعتني بها، وهذا لا يحدث إلاّ في حالات قول ما نعتقد أنه لم يقل بعد، حين ندرك أن الأدب يعلّمنا أولاً أن نتحاور ونناقش، حاملين استفهاماتنا كمفاتيح ذكية للتحكم في مصائرنا.

حركة الترجمة العربية ووضعها الراهن

رضي السماك

ألقيتُ خلال الشهر الماضي محاضرة عن تطور حركة الترجمة العربية منذ نشأتها التاريخية في جمعية تاريخ وآثار البحرين العريقة (تأسست 1953) والتي أتشرف بعضويتها، ولم يسعفني الوقت لا ستعراضها كاملةً، وتالياً إعادة صياغة تمهيدية مختصرة شديدة التكثيف للموضوع وأبرز الجوانب التي لم أتناولها مُدغمةً ببعض الإضافات المستقاة من مصادر مستجدة تحت متناول اليد.

بادئاً ذي بدء لنتساءل ما هي الترجمة؟ تعددت تعاريف الترجمة لدى علماء الترجمة في العالم، ومن أبرزها دقةً هي التي جاء بها عالم الترجمة الروسي الكبير فيلين ناعوموفيتش كوميساروف بأنها «ليست مجرد استبدال لغة بأخرى، ففي الترجمة تتلاقى ثقافات مختلفة وشخصيات مختلفة، ومخازن تفكير مختلفة، وآداب مختلفة، وحقب مختلفة، ومستويات مختلفة من التطور، وتقاليد مختلفة، وسياسات مختلفة.

أما بالنسبة لتاريخ الترجمة في العالم، فحسب كوميساروف نفسه فإنها ترجع إلى ألف عام، أما تاريخها الأبعد فتعود إلى ما قبل أكثر من 3 آلاف سنة قبل الميلاد إذ وُجدت لغة تبدو نصوصاً مترجمة في بابل القديمة وكذلك في الإمبرطورية الآشورية ، فقد كان هناك مترجمون ينقلون أوامر الحكام إلى الشعوب الخاضعة للإمبراطوريات القديمة.

عربياً فإن حركة الترجمة وإن كانت لها أشكال جنينية قبل الإسلام إلا أنها لا ترقى إلى العمل المنهجي، وإنما أقتضتها ضرورات العلاقات والمعاملات التجارية مع الأجانب، فقد اختلط العرب بهؤلاء بحكم رحلاتهم التجارية كالفرس والروم والأحباش. ولعل دخول عدد من المفردات الفارسية واليونانية والرومانية في أشعار العرب والقرآن الكريم دليلاً على اختلاطهم وتأثرهم بلغات تلك الأُمم.

وبعد ظهور الإسلام ظهرت ترجمات رسائل الرسول (ص) إلى ملوك الأقوام والشعوب غير العربية، ومنهم قيصر الروم وكسرى ملك الفرس ونجاشي الحبشة ومقوقس ملك الاسكندرية، هذا إلى جانب الرسائل التي بعث بها الخلفاء الراشدون إلى قيادات أقوام وأمصار عديدة لأغراض دعوية. وفي العصر الأموي اختلف المؤرخون عما إذا شهد بدايات فعلية لحركة الترجمة، إلا أن أكثرهم يتفقون على أن ما جرى لا يتجاوز ترجمة للدواوين في الأمصار المفتوحة؛ وحسب المترجم والمفكر جورج طرابيشي فإن أول خليفة في الإسلام احتضن الترجمة وموَّلها هو هشام بن عبد الملك بن مروان، على أنه لم يهتم بترجمة علوم الطب والكيمياء بل أهتم بالترجمة لأغراض سياسية تتعلق برسائله الخارجية.

وفي العصر العباسي (750 م – 1258م) شهدت حركة الترجمة طفرة نوعية في سياق ازدهارالحضارة العربية الإسلامية، وخصوصاً خلال حكم المأمون (813– 833)، ففي عهده تمت ترجمة علوم اليونان في الطب والفلك والرياضيات والموسيقى والفلسفة والنقد ومعظم مؤلفات أرسطو، وأسس المأمون بيت الحكمة بغية تفعيل حركة الترجمة إلى أبعد مدى ممكن. لكن هذا الازدهار استمر حتى أواخر القرن العاشر الميلادي وبعدها بدأ العد التنازلي لافول الحضارة العربية الاسلامية ودخول العرب فيما عُرف بعصور التخلف والانحطاط.

وفي العصر الأندلسي ازدهرت الثقافة والفلسفة العربية، ولم تقتصرالترجمة العربية خلاله على النقل إلى العربية بل وشرح النص المعرب والتعليق عليه ، وقد فعل ذلك على وجه الخصوص الفيلسوف العربي ابن رشد الذي لم يكتفِ فقط بإعادة ترجمة أعمال ارسطو بل قام بشرحها والتعليقَ عليها . وعلى العموم يمكننا القول ان أعمال الترجمة في هذا العصر تركزت في النقل من العربية الى اللغات الاوروبية على أيدي المستعربين او المستشرقين الذين نقلوا علوم العرب للغات شعوبهم اكثر من الترجمة من اللغات الأجنبية الى العربي. أما في العصر الحديث بدءاً من عهد محمد علي والي مصر العثماني عليها فقد عُرف باهتمامه بالترجمة من خلال ندب البعثات المصرية العلمية الى اوروبا ،لا سيما فرنسا، واسس مدرسة «الألسن» عام 1835، وتولى الشيخ رفاعة الطهطاوي الاشراف عليها، بعد ما كان قبل ذلك مترجماً في مدرسة الطب ثم شهد عصر النهضة العربية ولاسيما خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر البدايات الحقيقية لتطور حركة النهضة العربية المعاصرة، وبضمنها أعمال الترجمة حتى بلغت أوجها خلال القرن العشرين .

وخلال النصف الأول من هذا القرن تركز النشاط الترجمي بوجه خاص في مصر ولبنان وسوريا العربية فيما كانت أغلب الاقطار الاخرى لم تنل استقلالها غائبة تقريباً عن هذا النشاط، وكانت غالبية الترجمة تتم من الانجليزية والفرنسية، وإن كان نصيب الكتب الادبية المترجمة إلى العربية أعلى من العلمية.

وتعد حقبة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات هي الاكثر ازدهاراً في ترجمة الكتب الاجنبية، وبخاصة الانجليزية والفرنسية والروسية، لكن ظلت لغات عالمية هامة غربية وشرقية مغيبة عن الترجمة ، كالالمانية والاسبانية والسويدية والصينية واليابانية والفارسية. وتتجلى أهمية اللغة السويدية في كونها لغة لجنة تحكيم الأعمال المرشحة لجائزة نوبل وبخاصة في الأدب، ولنتذّكر هنا التصريح الجرئ لأعتراف الفائز بها عام 1930 الأديب الامريكي سنكلير لويس (توفي بسبب إدمانه المفرط على الخمور) بأنه لم ينلها إلا بفضل حرصه المهووس على ترجمة أعماله إلى اللغة السويدية، وأن الروائي الامريكي المعاصر له ثيدور درايزر كان الأحق بها. كما ظلت نسبة ما يترجمه العرب متدنيةً في ذيل حركة الترجمة العالمية مقارنة بنسب الترجمة العالية في كثير من دول العالم وعلى الأخص الغربية.

ومع ان خليجنا العربي من اوائل المناطق العربية التي أحتكت بالمستعمِر الانجليزي منذ القرن التاسع عشر إلا أنها مازالت من أكثرها تخلفاً في حركة الترجمة العربية ، اللهم إلا شذرات من المشاريع التي ظهرت بدءاً من الربع الأخير من القرن الفائت في بعض الدول الخليجية، وأشهرها المشروع الأعرق المتمثل في سلسلة عالم المعرفة الكويتية الذي تأسس عام 1978 والمعروف بريادته في ترجمة نفائس الكتب العلمية والأدبية والفنية والاجتماعي، لكن من مفارقات هذا المشروع المؤسفة أن جل المترجمين عرب غير خليجيين ، حيث تكاد نسبة المترجمين الكويتيين والخليجيين تقترب من الصفر. بل أن عدد المترجمين الناشطين في كل دولة من دول مجلس التعاون على حدة لا يكاد يصل إلى عدد أصابع اليدين، أو أكثر بقليل في أحسن الفروض ومن بينها البحرين، ومن أبرز المترجمين فيها كل من محمد الخزاعي ومهدي عبد الله وعيسى أمين وعبد الحميد القائد وعبد القادر عقيل وأمين صالح وغريب عوض ومنذر الخوروغيرهم ممن لا تحضرنا أسماؤهم في هذه العجالة.

ثمة عدد من الإشكاليات المرتبطة بالترجمة العربية المعاصرة لعل من أبرزها:

الأولى: تتمثل فيما ما عُرف ب «خيانة المترجم»، إذ معظم المترجمين العرب يمارسون الرقابة الذاتية المشددة على أنفسهم بسبب ضيق مساحة حرية التعبير بدرجات متفاوتة في البلدان العربية ، ومن ثم يتوجسون من ترجمة الفقرات او الفصول التي قد تعرضهم للمساءلة او الغرامة أو حتى السجن وبخاصة في الموضوعات التي تتصل بواحد مما أطلق عليها الباحث السوري الراحل أبو علي ياسين «الثالوث المقدس.. الجنس والدين والصراع الطبق».

الثانية: عدم إلمام كثرة من المترجمين العرب لا بلغتهم العربية فحسب ، بل واللغة الاجنبية المترجم عنها إلماماً معمقاً لاسيما ما يتعلق بخواصها وتراثها اللغوي ، لذا وجدنا اصدارات لأعمال لا حصر لها ركيكة المستوى و تعج بالاخطاء النحوية والاملائية.

الثالثة: إقدام كثرة من المترجمين على الترجمة من اللغة الوسيطة لا من اللغة الأصلية للنص المترجم مما يضعف قيمته الإبداعية، وبخاصة إذا ما كان من الأعمال الادبية.

الرابعة: تتمثل في كيفية تعريب وكتابة المصطلحات الأجنبية، ومن ثم تباين المترجمين العرب في طريقة كتابة الأسماء الأجنبية بالحروف، فهناك عدة مدارس عربية إعلامية في كتابتها، لعل أشهرها المسرية والخليجية تكتبها حسب تأثرها بلغة المستعمِر الانجليزي ، والمدرسة اللبنانية والمغاربية والتي تكتبها حسب تأثرها بلغة المستعمِر الفرنسي.

الخامسة: صدور عدة ترجمات للعمل المترجم الواحد، لا سيما اذا ما كان يختص بالحقول العلمي ، أما إذا كان يختص بالحقل الأدبي فبعض النقّاد يستحسنون التعددية في هذا المجال وترك تقييم مستوى النصوص المترجمة للنقاد وذائقة القارئ لتقرير عما هو الأفضل بينها.

السادسة: وهي إشكالية موضوعية خارجة عن إرادة المترجمين وتتمثل في الجمودالذي باتت تعاني منه لغتنا العربية وعدم تطورها لتواكب مستجدات العصر والتطور الهائل المتسارع الذي شهدته وتشهده الحضارة العالمية المعاصرة، وليس هنا موضع الخوض في تفاصيل أسباب هذا الجمود وإن كان غياب الديمقراطية والإصلاح الديني، لما للغة العربية من ارتباط وثيق بالموروث الديني ، من أهم أسباب معوقات تطويرها.

من هو المترجم الجيّد ؟

تعددت معايير النقّاد وأساتذة الترجمة لتقييم المترجم الجيِّد رفيع المستوى في أعماله المترجمة ، لكننا هنا ولتحاشي الإطالة سنكتفي بوصف مُترجمين كبيرين للمترجم الجيد، الأول ما جاء به العالم الروسي الكبير الآنف الذكر كوميساروف الذي يجزم بأنه مهما كان المترجم ضليع في عمله ورفيع المستوى في ادائه إلا أنه من الإستحالة بمكان تماثل أو تكافؤ النص المترجم مع النص بلغته الأصلية ، ومن المتعذر – حسب تعبيره – بلوغ التطابق بين النصين الأصلي والمترجم ، إذ يضطر المترجم دائماً أن يقرر بأية عناصر من المضمون يمكنه التضحية بغية النقل الأكثر دقة لتفاصيل أكثر أهميةً وأن الترجمة الجيدة هي الترجمة الأكثر اقتراباً من النص الأصلي. والثاني هو الناقد والمترجم العربي الفلسطيني الراحل الكبير جبرا إبراهيم جبرا الذي يربط الترجمة الجيدة بالموهبة كموهبة الكتابة، وأن العديد من أفضل المترجمين العرب وفي العالم كانوا شعراء وروائيين ومسرحيين.

وهنا تحضرني مؤلفات ومقالات المترجم البحريني الروائي أمين صالح، وهو واحد من أفضل المترجمين البحرينيين والذي تخصص لربما منذ أواخر الثمانينات أو مطلع التسعينات في ترجمة الأعمال النقدية السينمائية العالمية ، فباعتقادي ما كان ليظهر بهذا المستوى الرفيع في ترجمتها لولا موهبته الروائية وامتلاكه ناصية اللغة ؛ وإن كانت هذه الأعمال لا تلقى في تقديرنا إقبالاً كبيراً من قِبل القراء إلا بمستوى متوسط في أفضل الأحوال، وذلك لما هو معروف عما تعاني منه الثقافة والصناعة السينمائية من تراجع في الدول العربية الرائدة في

المرء لو استغل صالح موهبته وخبرته المديدة في الترجمة لترجمة الروايات العالمية ، فإن لم يكن حصراً بها فعلى الأقل إلى جانب شغفه بترجمة الأعمال السينمائية النقدية العالمية. والحال أن الوضع الراهن لحركة الترجمة مزرٍ للغاية ، فمع أن المادة 9 من ميثاق تأسيس الجامعة العربية تنص على تشجيع حركةً الترجمة إلا أن هذه المادة مازالت حبراً على ورق رغم مرور ما يقرب من ثلاثة أرباع القرن على تأسيسها، إذ أن عدد الكتب التي تترجمها الدول العربية مجتمعةً مازالت أقل من 400 وهذه النسبة لاتشكل خُمس ما تترجمه اليونان أفقر بلدان الاتحاد الاوروبي .

وإذا ما قارنا حركة الترجمة لدى الغرب بما باتت عليه حركة الترجمة لدينا من أوضاع آخذةً في التراجع والانحدار سنصعق من الذهول ، ففي الوقت الذي ينتج العالم العربي كتاباً واحداً مترجماً في السنة لكل مليون عربي فإن اسبانيا تنتج ما يقرب من ألف كتاب مترجم في السنة لكل مليون اسباني من مختلف اللغات الكبرى ، هذا بخلاف انتاج الكنب المترجمة في البلدان الناطقة بالاسبانية .

هذا في الوقت الذي يُهدر العرب ثرواتهم بغباء على الحروب والاسلحة ويستنزفونها في الفساد وقمع شعوبهم بدل من صرفها على الثقافة والعلم على تعبير المترجم السوري الكبير ثائر ديب ، ولا يمكن لحركة الترجمة العربية النهوض من كبوتها المديدة الراهنة بمعزل عن نهوض الثقافة والتعليم في بلداننا العربية او بمعزل عن إعادة بناء الدولة العربية على اسس مدنية وديمقراطية حديثة متحضرة تغادر نهائياً مرحلة الظلام الراهنة التي نتخبط فيها .

بصمة أصابع

هدى الطائي

بلدي أيها القلب ولانفض
المنضوي رهط العناق
خلف شجيرات الربيع لمنصور يجلس عاريا
النائم على الهاوية محسور الرأس عند قدميك
سأضع يدي الحنونة صريح الشهقات
تحت رأسك مشاكسا الاخيلة قلمه المتنبي
في ليالي التاريخ الطويلة خريف
وساجمع كل الرايات يخرج من سويداء الأيام
لتكون إزارا لكعبتك الخجلى فينفث ساحات موتى وغبار
وقد انشبت المنايا يقذف باشرعتك
أظفارها وقد كثرت عليك الأسمال
اقسم أيا وطني
اني مبعثرة فيك أيا وطن
اقسم الدموع والأرامل واليتامى
انك كمصحف مهجور سأرسل بصمة أصابعي
وقد اضاع الحجيج الطريق على طابع بريد باسمك
بزفير حقدهم القديم وأنحت انامل
آه لو علم ابا نواس ماكان زاجل لبوابات عشقك
وما سيكون الباذخة في الحكايات
لما كان أسيرا عند الحلم في صناديق الفقراء
عند كرمة مكشوفة فإنني تحت
لما عاد الرشيد رعاية اللصوص والاحتلال
مأهول الألوان

المتن والهامش في الندوات النقدية المسرحية

جرت العادة في المهرجانات المسرحية العربية أن تُقام ندوة نقدية بعد العرض المسرحي مباشرة، يعين فيها معقب رئيسي من ذوي الاختصاص، يقرأ فيها العرض قراءة بصرية كاملة مستنيرة لجميع عناصره، مع إقران القراءة بأمثلة ومقاربات تسهل نقل الرأي للجمهور. لذا، لابد أن يمتلك الناقد المسرحي أدواته ويتحكم بها في هذه القراءة المستفيضة للعرض، حيث يمنح -غالباً- مفاتيح النقاش، وتبادل الآراء بين الجمهور ومقدمي العرض؛ من مؤلف، ومخرج، وممثلين، وفنيين, حيث تتاح الفرصة للحديث عن العرض، أو الرد على التساؤلات التي جاءت من خلال الآخرين الآتين من باب التخصص، أو المتابعة للعروض المسرحية, فتأتي الآراء -بطبيعة الحال- متباينة بين التحليل والانطباعية، وما بينهما يقع الكثير من الالتباس، والمسؤولية، والشخصنة، وتبادل الاتهامات أحياناً إلى مكان بعيد عن العرض المسرحي!

زهراء المنصور

ما أود الإشارة إليه معنيّ بركائز أساسية في العملية الإبداعية بالمسرح، وتحديداً فيما يتصل بالجانب النقدي الذي يتخذ شكلين في الغالب: منصة الندوة النقدية المشار إليها، أو الكتابة لاحقاً في النشرة اليومية التابعة للمهرجان/ الصحف، أو ربما مجلات متخصصة تهتم بهذا النوع من المواد، في مزامنة وتكامل للعرض المسرحي، التي توضح المسئولية الواقعة تحت طائلة الناقد، باعتباره جزءاً لا يتجزأ من العملية الإبداعية لأي فن. ويسرد لنا التاريخ ضياع توثيق مهم للعروض المسرحية التي لم يُكتب لها نقد أو تحليل، واعتمد المؤرخون المسرحيون على تحليل الشذرات التي تتعلق بنشر خبر أو ملصق للعرض، وقد يقترب التحليل من الحقيقة، أو يبتعد عنها كثيراً، وفي الحالتين لا يمكننا الجزم القاطع بالتاريخ البعيد. بينما تحيلنا النقود التحليلية إلى تكوين تراكمي/ حقيقي عن عمر التجربة، وفحواها، ومدى أهميتها في القياس للدراسات المرتبطة بتطور ونمو الأفكار والاتجاهات في فرقة مسرحية على سبيل المثال.

وفي الوقت الذي تكون للنقد فيه حظوة مقدرة، يتم فيها تخصيص برامج مكثفة في الفعاليات المسرحية المختلفة من مهرجانات وندوات فكرية، مال فكر بعض القائمين على هذه الأنشطة إلى تهميشه وتقنين وقت الندوة النقدية، أو ضم أكثر من عرض مسرحي لمناقشته، مما لا يتيح المجال تماماً للتأني والمناقشة الهادفة المرجوة من إقامة هذا الحوار أصلاً، إلى أن تم إلغاء الندوة النقدية على سبيل التخلص من الزوائد أو الكماليات!

ولنترك بعضاً من جانب العداء المتحفز الذي يكيله طرفا العملية النقدية؛ المبدع، والناقد. في الظروف العادية – لدينا في الوطن العربي تحديداً- ناقد يعي سلطته في الحكم على العرض المسرحي، في تطبيق الصورة الذهنية العامة والسيئة بالطبع عن الشخص، الذي يلتقط الأخطاء بشكل فاحش ليعرضها أمام جمهور انتهى للتو من مشاهدة العرض، وقد تساهم أو يكون لها أثر سلبي على الحضور، كما القائمين على العمل، الذين تكبدوا العناء ليضيع كل هذا في رأي حاد وصارم – ولازالت أتحدث عن الصورة الذهنية العامة والمسيئة أيضاً لشخص الناقد-، فيما نجد في مواقع أخرى تحتفي بالمنجز النقدي كما المسرحي تماماً، من منطلق مؤمن بأن العمليتين متوازيتان، وتكملان بعضهما في الأجواء الصحية التي يقدم فيها العرض، ومن ثم يتاح الرأي المتخصص الذي يخدم فيها العرض، ويوثق له بمرور الوقت، وهو مختلف عن المادة الإنشائية الصحفية التي توضع في الصفحات الفنية أو الثقافية عن سرد أحداث عرض مسرحي، والمديح الشخصي، بلا مسوغ للمتلقي/ القارئ عن أبطال العرض، فتختلط الصفة الصحفية المعنية بكتابة أخبار النجوم، والبحث عن المانشيتات"، بالصفة النقدية المفصولة عن الأجواء، والمفترض فيها الكتابة بحيادية التخصص وحسب. لهذا، لازلنا نتراوح في مربع الهواية، وسيكون من الصعب تقبل أن هناك معايير فاصلة بين التسلية والعمل الجاد في المسرح.

إن أزمة تلقي النقد مرتبطة بالحالة الشعورية عن الكائن الطفيلي البغيض، صاحب السلطة الممنوحة له عبر دراسة معمقة متخصصة، أو خبرة عملية بالمسرح، أو اسم مقرون بالصحافة الفنية العامة، والتي من ضمنها التغطيات المسرحية. ولا يمكن الجزم بأهمية العطاء في المجال النقدي، إلا في الاطمئنان للرأي النابع من المحايدة، والركن إلى القواعد والنظريات والأساسيات في المسرح -رغم عدم ميلي الشخصي إلى الالتزام الحاد بها، وإمكانية المزج بين أكثر من منهج ومدرسة داخل اللعبة المسرحية إذا استدعى هذا بالطبع-، بالإضافة إلى الذائقة الفنية التي تعلو مع التجربة والاطلاع، والمشاهدة للمتعة الفكرية والبصرية، وبعيداً عن التصور المثالي بأنه مكان لإطلاق الشعارات، أو مرتبط بالمجتمع بالشدة التي تجعله شرارة لانطلاق الثورات، كما يحدث أحياناً في بلدان اختلط فيها المسرح بالمجتمع، وأخذ دوره التنويري المتوقع للمساهمة في تصحيح الأوضاع.

أيضاً، من أهم العوامل التي تكرِّس للخطأ وتمدحه؛ توقيت الندوة النقدية من بعد العرض مباشرة، والذي يساهم المتحدث الرئيسي فيه بالحكم على عمل استغرق وقتاً غير هيّن في التدريب، وتكوين كل العناصر المرئية على الخشبة، على أن قليلاً من الوقت لن يساعد على الإعداد الجيد فقط، بل سيدعو المهتمين من الجمهور للتمعن في العرض، وربما القليل من البحث الذي سيظهر بمداخلات بعيدة عن الانفعال والعاطفة المعتادة، والمتراوحة بين أعجبني/لم يعجبني! أما في الظاهرة الحالية، حيث يقوم "المعقب" الذي يسهل تعيينه من خارج المنظومة النقدية ليتحدث بالطلاقة "اللغوية" المطلوبة عن عرض تفرج عليه مع الجمهور قبل قليل، وفي أحيان محدودة يطلع على النص المسرحي، فيشغل الوقت بمحاكمة الورق وقراءة الأفكار التي وردت في النص الأصلي، والذي ربما يكون نفذ كما هو، ومعظم الأحيان حسب رؤية المخرج، أي أن هناك "نص المخرج" الأجدى بمناقشة فكرته وما ورد في عرضه بصرياً، وليس بشكل انطباعي كما تشي قراءة النص، ومن ثم المشاهدة الوحيدة مع بقية الجمهور، وقبل الندوة مباشرة، وهو أمر يدعو بعض المعقبين إلى الاستعانة بمحركات البحث السريعة، والتي تتضح من القراءة المرتبكة والمشبعة بمصطلحات وأسماء يصعب على غير المطلع في المسرح استيعابها، إلا في سياقها، مع الإشارة إلى المعنى، الأمر الذي يشير إلى "رأي انطباعي" وليس نقداً، لأنه عائد إلى أهواء ومزاج في تقبل العمل وفق الذائقة الشخصية، دون الاستناد إلى أسس موضوعية

ترفع العرض أو تسقطه وفق المعايير النقدية، في حين أن التحضير المسبق والمسئول يخلق للناقد الحقيقي نصاً خاصاً موازياً، رغم اعتماده على نص آخر بالأساس، كما أشار إلى ذلك أستاذ النقد الراحل د.نديم معلا (1949–2014م)، وأكدّ عليها أيضاً المؤلف المسرحي السعودي فهد ردَّة الحارثي في ورقته المشاركة بالندوة الفكرية الأخيرة لمهرجان الكويت المسرحي التاسع عشر، حين أنصف دور الناقد، برغم أنه ربما يكون خصم الحارثي "التقليدي" المؤلف، الذي بالضرورة جلس مراراً في كرسي الاستماع والدفاع عن النص/العرض من قبل نقاد متعددين، عدَّد أسماء بعض منهم في ورقته، من أمثال الناقد المصري سامي خشبة الذي التقط الفكرة في مسرحية "الفنار" كما أراد لها المؤلف، في حين أحال الآخرون الحدث إلى البيئة المحلية الخليجية والأسطورة حسبما أوحت لهم أحداث المسرحية، في توضيح أن الناقد المتمكن لا يتكأ على الإحالات السطحية السريعة التي قد يهرع إليها الآخرون ضمن تطابق أفكار مسبق أو موح، دون التفكّر في تفكيك العرض من خلال الزوايا التي لم يَنتبه لها أحد. فالإشارات التي قد تحيل العرض إلى منطقة مختلفة تجعله –حسب الحارثي– "...ماثلاً أمام نصه في حين آخر، يدرس حالة النص النفسية والذهنية، وقد يصل لحالة الكاتب نفسه، يبحث في الدلالة، والإشارة، والعلامة، والنسق، يقرأ أفق النص، فيرشد الكاتب لمناطق لم يكن يدركها أثناء كتابته، ولا حتى بعدها، ولولا هذه القراءة لما وصل لها. إنه المبدع الثاني لنص المبدع، والناقد بوصفه مبدعاً ملهماً يكون دوماً صاحب رؤية وقدرة على قراءة أفق النص.." (1)

هذه الإشارات القليلة، وغير المسطحة، عن الدور الأصيل للناقد، والشراكة عبر المساهمة بدفع التجارب المسرحية لإحيائها، حتى بعد مرور وقت طويل من العرض، لن يوقف تصدير الصور البغيضة للنقد، والمتصلة بالسلطة، والتوحش، والسلبية المطلقة، وميل المعنيين المنظمين إلى جعله نشاطاً تابعاً أو هامشياً وغير منظم، أو عادة ممارسة بدون وعي بأهميته المرتبطة بارتقاء الوعي الجماهيري الذي قد يمهد لصحوة مسرحية تنفض التقليدي، ولا تبني على أنقاض لإعلاء هذا العِلم المتكامل الممزوج حتى الثمالة بالفن.

الورقة المذكورة ضمن الندوة الفكرية «تكاملية العلاقة بين المبدع والناقد» في محور «العلاقة بين المؤلف والناقد» في مهرجان الكويت المسرحي التاسع عشر، ديسمبر 2018م.

ومض

حسين العريبي

مقار المسارح الأهلية.. حرب المجتمع المدني أمام منطق السوق

مع انطلاقة المشروع الإصلاحي بين العام 2001 – 2002 اختير مجمع المباني الحكومية الكائن بمنطقة العدلية بالمنامة – فيما يعرف اليوم بمجمع الجمعيات – ليكون مركزاً للمجتمع المدني بكل ما يحتويه من مؤسسات ثقافية وحقوقية واجتماعية واقتصادية وشبابية ونقابية وغيرها. كانت تلك المنطقة تضج بفعاليات المجتمع المدني الذي كان عنصراً رئيساً في فترة انطلاقة المشروع الإصلاحي لجلالة الملك.

لم تكن رؤية البحرين 2030 قد أخذت مداها، فالتعليم، والصحة، والمسؤوليات الرئيسية للدولة كانت لا زالت سارية بعد، وكان التوجه لحتمية سيطرة السوق على السياسات الحكومية مجرد وجهة نظر، أما اليوم فالسياسات النيوليبرالية للدولة تمضي قدماً وتسحق كل من يقف في وجهها، خاصة وأنه ليس هناك ما ينقصنا، فها هي الكنائس تعانق المعابد والمساجد، وها هو فريق هذه هي البحرين يزور الأراضي المحتلة ليقنع العدو بضرورة السلام، والشباب لا يحتاج لاستراتيجية تملي عليه حقوقه فها هي الهيئات المسؤولة عن الشباب تحاور الحكومة وتجبرها لتطويع سياساتها لحماية مصلحة الشباب.

إذاً ما حاجتنا إلى ثرثرة المجتمع المدني وسلبيته؟!

بعد تركيب كل هذه المربعات تبدو جزئية طرد المسارح الأهلية من مقراتها بعد 17 عاماً من الانتقال إليها أمراً في غاية الهامشية في ظل المشهد العام.

القصة أن هيئة البحرين للثقافة والآثار استدعت رؤساء الفرق المسرحية الأهلية وأخطرتهم بإخلاء مقراتهم في غضون أسبوعين –نهاية يناير الماضي – بعد أن بيّن تقرير الرقابة المالية وجود مخالفة إدارية على هيئة البحرين للثقافة والآثار بسبب دعمها للمسارح الأهلية! كما بلغت اللجنة المالية الحكومية وزارة الثقافة بعدم توجهها لتمديد عقود الايجار مع شركة إدامة بعد أن اقتضت ضرورة ترشيد النفقات وضبطها إلغاء دعم المسارح الأهلية.

وبعد أن ضجت وسائل التواصل الاجتماعي بالخبر أصدرت هيئة الثقافة والآثار بياناً يبين أنها اضطرت لذلك بسبب السياسات التقشفية للحكومة، ثم عادت لتسحب البيان، لأن مفردة التقشف لم تكن مستساغة على ما يبدو.

مؤخراً اجتمعت هيئة الثقافة والآثار مع المسارح وعرضت عليهم بديلاً تابعاً للهيئة في المحرق، ريثما تنضج مشروعاً دائماً ليكون مقراً للمؤسسات المسرحية الاهلية في المنامة.

هذه هي القصة في جزء منها لكن الجزء الأهم أن هناك رغبة في اغتيال المجتمع المدني، وهي رغبة تؤكدها توجهات الشركة المسؤولة عن إدارة عقارات «مجمع الجمعيات بالعدلية» والتي يسيل لعابها منذ سنوات لإخلاء المنطقة من مؤسسات المجتمع المدني وتحويلها إلى مشروع استثماري، ضمن توجه يدير سياسات الدولة بمنطق السوق منطق الدائن والمدين.

الرجل الذي ألّف كتباً في ذهنه

قصة: باتريشيا هايسميث

كان «أي تايلور تشيفر» يكتب كتبا في ذهنه، لا على الورق أبداً. عندما توفي عن عمر ناهز الثانية والستين كان قد أنجز أربعة عشر رواية وخلق مائة وسبعة وعشرين شخصية، كان يتذكر كلاً منها على نحو مميز.

وجرى الأمر كالتالي: كتب تشيفر رواية عندما كان في الثالثة والعشرين من عمره بعنوان (التحدي الأبدي) ورفض أربعة من الناشرين في لندن الراوية. وقام تشيفر الذي كان في ذلك الحين مساعد تحرير في صحيفة في مدينة برايتون بعرض مخطوطة الرواية على ثلاثة أو أربعة من أصدقائه الصحفيين والنقاد، والذين قال كل منهم بنبرة بدت لتشيفر بنفس حدة رسائل الناشرين في لندن "الشخصيات لا تبدو واضحة المعالم... الحوار مصطنع.. الثيمة غير واضحة.. وحيث أنك طلبت مني أن أكون صريحا معك، اسمح لي أن أقول أن لا أمل لهذا العمل بأن ينشر حتى لو أعدت مراجعته... من الأفضل أن تنساه وتكتب عملاً آخر..»

ترجمة: علي مدن

كان تيشفر قد خصّص كل وقت فراغه لعامين لكتابة الرواية، وكاد أن يفقد الفتاة التي كان ينوي الارتباط بها، لويز ويلدون، إذ أنه لم يراعها إلا قليلاً. ومع ذلك، تزوج لويز بالفعل بعد أسابيع قليلة من فيض المراجعات السلبية لروايته. كان كل ذلك شديد البعد عن نشوة النصر التي نوى أن يخطف عروسه على نغمتها ويستهلّ بها الزواج.

لتشيفر دخل خاص محدود، أما لويز فكان دخلها أكبر. لم يحتج تشيفر للعمل. تخيّل سابقاً الاستقالة من عمله في الصحيفة، بفرضية أن روايته الأولى ستنشر، وأنه سيكتب روايات أكثر ومراجعات للكتب وربما عموداً عن الكتب في صحيفة «براتيون» وأن يتدرج من هناك إلى صحف مثل «الجاردين» و«التايمز». حاول العمل في صحيفة برايتون بيكون لكنهم لم يرغبوا بابقاءه بشكل دائم. إلى جانب ذلك، رغبت لويز في الإنتقال إلى لندن.

اشتريا منزلاً صغيراً في ممشى شاين وأثّثوه بأثاث وسجاد منحته إياهما عائلتهما. وخلال ذلك الوقت كان تشيفر يفكر في رواية أخرى، أراد اتقانها، قبل أن يخط كلمة واحدة على الورق. كان شديد الكتمان، حتى أنه لم يعلم لويز بالعنوان أو الفكرة أو يناقش معها أياً من الشخصيات، رغم أنه رأى شخصياته بوضوح في ذهنه – خلفياتهم ودوافعهم وأذواقهم ومظهرهم حتى ألوان عيونهم. كتابه المقبل سيكون محدداً في ثيمته وستكون شخصياته مكتملة وسيكون الحوار مقتصداً ودالاً.

جلس لساعات في مكتبه في ممشى شاين، بالفعل همَّ إلى الطابق العلوي بعد الافطار ومكث حتى الغداء، ثم عاد للمكتب مجددا حتى موعد الشاي أو العشاء مثل أي كاتب منتج، لكن على الورق لم يكتب أي ملاحظة تذكر سوى 1877 إلى 1953 و1939 إلى 1983، أو أمور من هذا القبيل لتحدد عمر أو سنة ميلاد شخصيات معينة.

راقه أن يهمهم لنفسه وهو يمعن التفكير. كتابه الذي سماه «مفسد اللعبة»، استغرق منه أربعة عشر شهرا للتخطيط وللكتابة في ذهنه. بحلول هذا الوقت ولد ايفريت الصغير. كان تشيفر يعلم جيداً أين سيمضي بالكتاب، حتى أن الصفحة الأولى كانت مطرزة باكملها في ذهنه كما لوكان يراها مطبوعة. كان يعلم أن الكتاب سيحوي إثنا عشرة فصلاً وكان يعلم ما ستحويه. كما حفظ مقاطعَ كاملة من الحوار في ذاكرته، وكان بوسعه استدعاءها لو رغب. ظنَّ تشيفر أن بوسعه طباعة الكتاب خلال شهر. وكان قد اقتنى آلة طابعة جديدة، هدية من لويز في عيد ميلاده الأخير.

«أنا جاهز – أخيراً» قال تشيفر ذات صباح بشيء من البهجة غير المعتادة.

«ممتاز، حبيبي!» قالت لويز. كانت حذرة في أن تسأله عن حال عمله حيث انها استشعرت أن ذلك لم يعجبه.

بينما كان تشيفر يتصفّح صحيفة التايمز ويملئ غليونه قبل أن يصعد إلى مكتبه، مضت لويز إلى الحديقة وقطفت ثلاث وردات صفر، وضعت الورود في مزهرية وحملتها إلى مكتبه وثم انسحبت بصمت.

كان مكتب تشيفر جذّاباً ومريحا مع طاولة مكتب مترعة حسنة الإضاءة، وحوى كتباً للمراجع وقواميس في متناول اليد، وكنبة من الجلد الأخضر مناسبة لقيلولات وجيزة لو رغب بها ومنظراً يطل على الحديقة. لاحظ تشيفر الورود على الطاولة ذات العجلات التي بالقرب من طاولة مكتبه وابتسم بامتنان. فكّر: الصفحة الأولى .. الفصل الأول. كان سيهدي الكتاب إلى لويز. إلى زوجتي لويز. إهداء بسيط وواضح. في يوم رمادي من ديسمبر كان ليونارد...

أجَّل العمل وأشعل غليوناً آخر. وضع ورقة في الآلة الطابعة، لكن هذه كانت ورقة الغلاف، وهو حتى الآن لم يكتب شيئاً بعد. بغتة، عندما قاربت الساعة العاشرة وخمسة عشرة دقيقة انتابه شعور من الضجر، ضجر خانق ومشل. كان يعرف الكتاب، كان في ذهنه بأكمله، في حقيقة الأمر لمَ يتكبّد عناء كتابته؟

مجرد فكرة على مفاتيح الآلة الكتابة خلال الأسابيع التالية، ووضع كلمات كان يعرفها خير المعرفة في مائتين واثنين تسعين ورقة (كما قدّر) كانت تشعره بالقنوط. هوى على الكنبة الخضراء وغفى حتى الحادية عشرة. أفاق وقد جدّد قواه وغيّر من منظوره للوضع: الكتاب قد أنجز على كل حال، لم يكن منجزاً فقط بل منقحا. لمَ لا ينتقل إلى شيء آخر؟

كان يفكر في رواية عن يتيم يبحث عن أبويه منذ أربعة شهور تقريبا. شرع في التفكير عن الرواية الممكنة حول هذه القصة. جاس

طوال اليوم أمام مكتبه يدندن ويُحدق في رزم الورق، كلها تكاد تكون بيضاء وهو يفرك الممحاة الصفراء في الطرف الآخر من القلم الرصاص. كان يخلق.

وعندما أكمل تخطيط وانجاز رواية اليتيم، والتي كانت رواية طويلة، بلغ ابنه عامه الخامس.

«بوسعي كتابة الكتب لاحقاً» قال تشيفر للويز: «المهم هو أن أخططها وأفكّر في تفاصيلها".

شعرتْ لويز بالخيبة لكنها وارت مشاعرها. "أبوك كاتب" قال لأيفريت الصغير. روائي. والروائيون لا يتوجب عليهم الذهاب للعمل مثل بقية الناس. بوسعهم العمل من البيت."

أيفريت الصغير كان آنذاك يذهب إلى روضة الأطفال خلال النهار، وقد سأله الأولاد الآخرون ماذا يعمل والده. عندما بلغ أيفريت الثانية عشرة أدرك الموقف ووجده هزلياً جدا، خصوصاً عندما تخبره أمه أن والده كتب ستة كتب. كتباً خفية. وكان ذلك في الوقت التي بدأت فيه لويز تغيير موقفها من تشيفر من موقفٍ متسامح ومتسم بعدم التدخل إلى موقف من الإحترام والإعجاب. وقد فعلت ذلك بشكل واعٍ حتى توجد قدوة لإيفريت. كانت تقليدية بما يكفي للإعتقاد: «لو أن الابن فقد احترامه لوالده، فإن شخصية الابن وحتى البيت نفسه سوى يتهاويان.

وعندما أصبح ايفريت في الخامسة عشر من عمره لم يعد متسلياً بطبيعة عمل والده بل خجلا ومحرجا منه عندما زاره أصدقاؤه.

«روايـــات؟... هل هي جـيـدة؟... اتسمح لي برؤية أحدها؟» سأله روني فيلبس، ولد آخر ذو خمسة عشر عاما ويراه ايفريت بطلاً. بالنسبة لإيفريت فان نجاحه في دعوة روني إلى البيت في عطلة عيد الميلاد كان حدثاً مهماً، وكان قلقاً من سير كل شيء على أحسن وجه.

«هو شديد الخجل حول كتبه» أجاب أيفريت، حتى أنه يبقيها في غرفته، كما ترى"

«سبع روايات! من العجيب أني لم أسمع به من قبل. من هو ناشره؟»

وجد أيفريت نفسه تحت ضغط رهيب. وشعر رزني بعدم الإرتياح ايضا، وبعد ثلاثة أيام فقط عاد إلى منزل عائلته في كنت. بعد ذلك رفض أيفريت الأكل، تقريبا، ولازم غرفته حيث وجدته أمه مرتين ينتحب.

لم يعلم تشيفر عن أي من هذا. كانت لويز تحميه من كل المشاكل المنزلية وكل مقاطعة. لكن، بما أن العطلة كانت مستمرة لشهر آخر وحالة أيفريت كانت بغاية السوء، اقترحت برفق على تشيفر السفر في باخرة سياحية إلى جزر الكناري ربما.

فوجيء تشيفر بالاقتراح أول الأمر. لم ترقه الاجازات ولم يحتجها، طالما ما كرّر ذلك. لكن بعد أربعة وعشرين ساعة قرّر أن رحلة في الباخرة السياحية هي فكرة جيدة. "بوسعي الاستمرار بالعمل،" قال.

على متن الباخرة، جلس تشيفر على كرسي على سطح الباخرة، أحيانا حاملاً قلم رصاص، وأحيانا دونه، وهو يعمل على روايته الثامنة. لم يكتب ملاحظة واحدة طوال الإثني عشر يوما . لكن لويز الجالسة بقربه استطاعت التمييز عندما يتنهد ويغلق جفنيه أنه كان يأخذ استراحة من العمل. في نهاية النهار، بدا عادة كما لو كان يحمل كتاباً بين يديه ويتصفحه، وكانت تعلم أنه يراجع أعماله السابقة والتي كان يحفظهاعن ظهر قلب.

«هاها» قهقه تشيفر قليلاً عندما وجد مقطعا ظريفاً. ثم يتحول إلى مقطع آخر ليبدو كما لو كان يقرأ ثم يهمهم: ممم.. ليس رديئاً، ليس رديئاً».

انتزع أيفريت الذي كان كرسيه على الجانب الآخر من كرسي أمه نفسه من الكرسي وتمشى بعيداً واجماً عندما كان والده يقوم بهذه الهمهمات الراضية. لم تكن الرحلة في الباخرة ناجحة كليا بالنسبة لأيفريت، خصوصا مع عدم وجود أي أحد من عمره سوى فتاة واحدة، والتي أعلن أيفريت لوالديه ولمضيف سطح الباخرة بأنه لا رغبة لديه بالتعرف عليها.

لكن الحياة تحسّنت بالنسبة لايفريت عندما ارتاد جامعة اكسفورد. على أقل تقدير فإن موقفه من والده عاد ليكون مرة أخرى موقفاً متسلياً. والده جعله شهيراً جداً في الجامعة، كان ايفريت يجاهر: لا يحظى الجميع بقصيدة فكاهية حية كوالد!. قال مرة لأمه. "هل لي أن أتلو واحدة قد –»

«أرجوك يا أيفريت" ردّت الأم ببرود نزع الابتسامة الساخرة حالاً من وجهه.

عندما وصل لأواخر الخمسينات من عمره ظهرت علي تشيفر أعراض الأمراض القلبية والتي فتكت به لاحقاً. واصل الكتابة على جري عادته في ذهنه، لكن طبيبه نصحه بتقليل ساعات عمله، وبـأن يأخذ قيلولتين في اليوم. وشرحت لويز للطبيب (وكان جديد العهد بهما وهو أخصائي أمراض القلب) نوع العمل الذي يقوم به تشيفر.

«إنه يفكر في تفاصيل رواية، قالت لويز، الأمر الذي قد يكون مرهقا بنفس القدر ككتابة واحدة بالتأكيد.»

بالتأكيد ردَّ الطبيب

عندما حانت ساعة النهاية بالنسبة لتشيفر كان أيفريت قد بلغ الثامنة والثلاثين، وكان لديه طفلان في عمر المراهقة. كان ايفريت قد اصبح عالم حيوان. ايفريت ووالدته وخمسة أو ستة من الأقارب اجتمعوا في غرفة المستشفى حيث قبع تشيفر تحت قناع الاوكسجين. كان تشيفر يهمهم بشيء ما وانحنت لويز دانية لسماعه : «..من الرماد إلى الرماد». قال تشيفر "قفوا بعيدا!"...غير مسموح بالتقاط الصور...

"بجوار تنسون؟" وقال الجملة الأخيرة بصوت منخفض وحاد .."صرحا من المخيلة الإنسانية.."

كان أيفريت يستمع ايضا. بدا أن والده عند تلك اللحظة كان يلقي خطابا معداً من صنف ما . اعتقد أيفريت انه خطاب تأبين. "..زواية ضئيلة موقرة من ناس ممتنين.. كلانك!..كن حذرا!"

مال ايفريت بغتة للأمام في حشرجة من الضحك "إنه يدفن نفسه في دير ويستمنستر!"

«ايفريت!» قالت امه. «اصمت!»

«هههه» لم يتمالك ايفريت نفسه وانفجر توتره في قهقهات وترنّح خارج الغرفة وانهار على الكرسي المعدني في الردهة، ضاما شفتيه معاً في جهد يائس لكبح نفسه. ما جعل الموقف أكثر هزلية أن الآخرين في الغرفة عدا أمه لم يفقهوا ما كان يجري. كانوا يعلمون أن والده كان يؤلف الكتب في ذهنه، لكن لم يدركوا مغزى الجزء المتعلق بزواية الشعراء في دير ويستمنستر إطلاقا!

بعد لحظات معدودة، استعاد أيفريت جديته، وعاد أدراجه إلى الغرفة. كان والده يهمهم، كما فعل عادة وهو يعمل. أكان يعمل حتى الآن؟ راقب ايفريت أمه تدنو منه لتستمع. هل كان مخطئا، أم كان ذلك شبح أرض الأمل والمجد الذي أصغى له آتيا من خيمة الأوكسجين؟

انتهت المسألة. كما بدا لأيفريت وهم يهمون خارج الغرفة، عليهم الآن الذهاب لمنزل أبويه لتناول مائدة الجنازة، لكن لا ! لم تقم الجنازة بعد. كانت قوى والده خارقة فعلاً.

بعد ما يقرب ثمان سنوات، لازمت لويز السرير تحتضر من نوبة فقر دم تبعت نزلة برد. كان أيفريت معها في غرفة النوم في منزلهم على طريق تشين. كانت تتحدث عن والده، عن كيف أنه لم يحظ بالشهرة والاحترام اللذين استحقهما.

«...حتى النهاية،» قالت لويز.»لقد دفن في زواية الشعراء يا أيفريت– لا تنسى ذلك..."

نعم، قال ايفريت، مندهشاً نوعاً ما ، يكاد يصدق ما قيل للتو.

«لا مكان للزوجات هناك بطبيعة الحال– لولا ذلك لكان لي أن انضم إليه." همست.

ولم يشأ ايفريت أن يقول لها إنها ستنظم إليه في مقابر العائلة خارج برايتون. لكن هل كان ذلك صحيحا؟ أليس بوسعهم ايجاد رقعة اخرى في زواية الشعراء؟

«برايتون»، ردّد أيفريت لنفسه بينما الواقع كان يتهاوى. «برايتون» وقد تمالك نفسه: "لستُ متأكداً تماماً، قال لها. "ربما من الممكن تدبير ذلك يا ماما. سوف نرى». أغلقت عينيها، ورسمت ابتسامة رقيقة على شفتيها، ذات ابتسامة الرضا التي رآها على وجه والده عندما استلقى أدنى خيمة الأوكسجين.

نصفُ قلب

سوسن دهنيم

نصفُ قلب
نصفُ حياة
نصفُ طاولة بمقعد مهجور
ونصفُ كأسٍ ممتلئةٍ بعصارةِ نبض
حتى عيناي كانتا نصفاً حين
اقتسمتهما مع حبيبي الأعمى
###
كلما قبّلت أمي خدي،
نهضت أوتار نبضي تغني صلاةَ
القيامة
###
قلمي يخبئ تحت رصاصه بارودا من
قُبل
هيئ شفتيك
واستعد للقراءة
###
لو أن صوتي يهرم
هل تحنو على تجاعيد كلماتي
كلما تيممتُ بشفتيك؟
###
كلما رسمت قلباً في طفولتي
أخطئ رسمَ الزوايا فيغدو كبالونة
حين كبرت، تحسستُ قلبي فلم أجد
سوى خيط ممتد نحو السماء
في نهايته نجمةٌ مشنوقة
###
وفي كم عباءتها كانت تربي الغيم
تحصي الشهبَ المارة برمشوها
وحين يسقط نيزكٌ في قلبها... تغني
###
في الصباح أغني كبائعة الفرح
أوزع صناديقَ الأملِ وأكتب ذاكرتي
ضحكةً وقصيدةً
أتركها على باب جاري المتعبِ من
الفقد
أصفف شعر جدتي التي لم أرها
وأحصي الشعرات البيض في قلبي
وحين أعود لمنزلي أهمس لوجعي
المتربص: "إن كنت تقصد قتلي
قتلتني مرتين».
###
ويحدث أحيانا، أن أتحسس قلبي بحثاً
عنك..
ويحدث كثيراً، أن أمرر يدي على
خصري؛
متفقدةً رقصة علقت به قبل أن
تحرق المسافةُ ذراعيك!
###
أفتقدك فتغدو الحياة هشة
تتكسر عند الشهقة الأولى
أجمع شظاياها
لأصنع منها دمية تشبهك
###
كـ كلمة فارّة من قصائدك
كـ بقعة ضوء مخبأة في صورة لك
أغادرك كي لا تمتلئ السماء بالأسئلة
###
كأي حوذيٍّ يمرّ بنا الوقتُ
ولا ينسى أن يحملَ قلوبَنا المجففة
يهدهد الأحلامَ وهي تعبر الطريقَ
كهرم انكسرت عكازه فاتكأ على ذاكرته
تَمر بنا الليالي عُمْياً نَخيط من
الضوء وردةً تتزينُ بعطر مغشوش
المرايا تغادرُ سارقةً مَلامحَنا التي
علّقناها عليها ذات فرح
نغني كأيِّ طفل للتو يتعلم أبجديتَه
من معلمة مغتَرِبة
باعت وقتَها
واحتفظت بوطنها في صندوق
الأسرار محنطا
تدهمنا صرخاتُ العبيد وهم
يبحثون عن حناجرهم عندما استبدلها
اسيادُهم بأبواق صدئة
الوقت يمرّ ثانيةً ولا ينسى أن يُلقي
بقلوبنا المجففة علينا؛ لتنكسر بصمت..

فيفيان لي طفلة بين يدي لورانس أوليفيه

قصة: جعفر الديري

عندما تقدَّم لورانس وطلب يدها، أحسَّت أنَّها على أعتاب دنيا جديدة من الفرح والسعادة والتألُّق الفني العظيم.

تتذكَّر تلك اللحظة الرائعة، وكأنَّها تذوق حلاوتها الساعة. كانت قد حقَّقت نجاحا منقطع النظير رغم سنِّي عمرها القصيرة. حصدت الأوسكار عن دورها في فيلم «ذهب مع الريح»، فكانت حديث الناس في كُلِّ مكان. وكم هو أمر رائع أن تقترن بممثل مدهش مثل لورانس، فتحصد نجاحا آخر.

لا شكَّ أنّ عاشق شكسبير هذا سيكون مُعلِّما وموجِّها، تستفيد منه كثيرا في مسيرتها الفنية.

لذا لم تتردَّد في الإجابة بثقة، وعلى فمها الابتسامة التي طالما سحرت عشَّاقها:

– نعم.. إنِّي أقبل الزواج بك.

وشاهدته يطير فرحا، ويعدها بسعادة لم تنلها فتاة من قبل. ولم تكن بحاجة لذلك، فإن اسمه وحسب، كان كفيلا بطمأنتها. لقد استرعى الانتباه بوقفته على خشبة المسرح، حتَّى صار الناس يفدون خصيصا لمشاهدته وهو يتقمَّص شخصيات مثل هاملت، مكبث، يوليوس قصير، وأخرى، يؤديها بفن يدهش الجميع، دفع النقاد لاعتباره أفضل من جسّدها.

كل ذلك وهو مازال شابا. فكيف إذا نضجت التجربة، وإزداد علما وفهما ودراية بالتمثيل؟! عندها ستؤسس معه بيتا فنيًّا رائعا، تتصدَّر فيه فيفيان لي، شباك التذاكر السينمائية، ويقف فيه لورانس أوليفيه سيدا للمسرح الشكسبيري.

وهنا في بيتها الجميل، في حَيٍّ من أعرقِ الأحياء –حيث تجلس الآن، عجوزا، ينهش السُّلُّ صدرها– عاشت فيفيان أروع شهر عسل. إذ كان كلُّ شيء طوع بنانها، والصحف والمجلات، لا تتوقَّف عن نشر أخبارها، وزميلاتها يرمقنها بعين الغيرة والحسد، فتضحك سعيدة باحتراقِهِنَّ، والناس كُلُّ الناس يتهافتون لمصافحتها.

رغم ذلك كان قلبها يتوجَّس خيفة من أمر ما. تماما كما كانت سكارلت، وهي في قمَّة سعادتها، مع زوجها ريت بتلر. فجأة ماتت ابنتها الوحيدة، وهجرها زوجها. ولولا إرادتها لما تمكَّنت من الوقوف ثانية ومتابعة حياتها.

لكنَّها هي فيفيان، ليست على ما يرام. وليست قويَّة مثل سكارليت. بل إنّ أعصابها ضعيفة للغاية، ونوبات الغضب التي تنتابها كثيرة مفزعة. وإذا صدق حدس الطبيب فإنّها على موعد مع الآلام التي لا تطاق.

كانت علامات المرض اللعين، تظهر باستحياء، في أوَّل الأمر ثمَّ تختفي. لكنَّها تلِحُ الآن في الظهور. ثمَّة كآبة تزحف بسرعة إلى روحها، يأس من كل شيء. قلق لا مبرر له. ريبة وشكٌّ في أقرب الناس، بمن فيهم لورانس. فرغم حبِّه وإعجابه بها، أصبح دائم الشكوى منها، ينتقد كلَّ شيء، فهي مهملة، كسولة، ضيِّقة الأفق. لقد ملَّها لا شك، وضاق صدره بها.

والحقُّ أنَّها لم تعد كما كانت، الفتاة الجميلة، من يسير المجد والشهرة في ركابها. ففي الوقت الذي تهاوت فيه من أعلى الجبل، كان هو يصعد إلى ذروة المجد. كان اسمه قد أضحى مقرونا بالتعظيم والتبجيل، حتَّى أنهم صنَّفوه كواحد من أعظم الفنانين في مختلف العصور.

على أنَّ الكُرهَ لم يداخِل قلبها لحظة نحوه. فلم تحب أحدا كما أحبته، ولم تعجب بممثل كما أعجبت به، ولم تتلمذ إلا على يديه. إنَّه شعلة من العبقرية، تبثُّ ضوءها، فتسلك سبيلها عن بصيرة. وما بين اللحظة التي طلب فيها يدها، والأخرى التي انفصل فيها عنها، عشرون عاما، كانا فيها زوجان نادران. مشاغبان كالأطفال، رقيقان كقطرات الندى، عاصفان كيوم ممطر. حب عظيم جمع بينهما، جعلهما لا ينفصلان فعليا، وإنما على الورق فحسب.

لقد ظلاَّ يؤمنان ببعضهما. ظل يراها الفتاة المشاكسة، بارعة الجمال، الموهوبة التي تتكشَّف في كل دور تؤديه عن براعة مذهلة. وظلت تراه الممثل العملاق، الخبير بالعواطف الإنسانية، والذكي الذي لا يخطأ هدفا أبدا.

واحة الفكر

رجل في خفين من نار
إيفلين حمدان

ترجمة: رلى ذيبان
إعداد: هشام عقيل

صدر عن دار الفارابي مؤخراً كتاب تحت عنوان (رجل في خفين من نار) ألّفته زوجة مهدي عامل إيفلين حمدان. يتناول الكتاب سرداً بايوغرافياً لحسن حمدان عبر ذكر التفاصيل الدقيقة لحياته، وعلى العكس من الإتجاه العام لكتابة السير الذاتية في العالم العربي، حاولت ايفلين حمدان أن تسرد هذا التاريخ بشيء من شفافية تبين لنا حسن حمدان الإنسان وعلاقته بمهدي عامل المفكر (رغم أن البعض قد يرى أنها تتعدى الخصوصية أحياناً). في تصوري، ألّفت المؤلفة هذا الكتاب بأسلوب جديد؛ ويمكن الواحد منا الآن أن يفهم تاريخ، لا وبل فكر، مهدي عامل بشكل أفضل. أقدّم هنا بعض المقتطفات من هذا الكتاب:

-1-

ومن بين هذه الورقيات، برزت هذه الرسالة المرمزة، التي اكتشفتها بعد عقود ثلاثة، بفضل مؤشر مُدّون على الصفحة الأولى لتلك الطبعة القديمة من ديوان بول ايلوار، الذي أحلتني به إلى الصفحة 43، حيث قرأت:

إن غادرتك فإننا سنتذكر،
وإن تغادرنا فسنلتقي من جديد..

-2-

أنت المولع بكل ثمار الوجود الحر، الرجل المرح المحب لملذات الحياة، والمفتتن بالحضور النسوي، تنصرف [في بعض الأحيان■ إلى «السبي» قاطفاً أهواء عشقية عابرة، فيها من البراءة واللذة الحسية ما يعتقك من الألم الوجودي الذي يجلدك، أنت الباحث عن اللامتناهي في شاعرية العيش..

-3-

ولكونك ذوّاقة تهوى الخمرة والعرق، فإن النشوة تحيط بالموائد أو السهرات التي تلتذ بها، تلك التي يرتضيك فيها المؤاكلون والضيوف فتلتقون في الاعتقاد الثوروي والأممي عينه. (...) وعندما تستغرق في فكرك، مطوقاً بنفثات الدخان الحلزونية البيضاء، ومشهراً قلمك ذا الكرية [الزرقاء■، الذي سرعان ما تسدده على مفهوم لا بد لك من ضبطه، يعتريك التطلع إلى مجات كبيرة من سيجارتك المضطرمة الطرف في ظليل المكتب. وفي بعض الأحيان، لما ينبلج الفجر عن بوارقه الأولى، وإن شعرت بنداء الهروب إلى الشعر واقتضى منك يراعك دفء الإلهام، فإنك تلجأ إذاك إلى عشب النسيان كما أسماه أخوك كاتب يوم كنتما تغزوان المجرات..

-4-

خلال هذه الأشهر من الإضطرابات تحديداً (الغزو الاسرائيلي 1982)، تجيز لقريحتك الملهمة بالتفجر، فتقول لمن يرغب في الإصغاء:

لدينا مشاكل مادية نحلها. ولهذه المشاكل العادلة لا بد لنا من الوقوع على حلول صحيحة. إن مشكلات الآن هي التي ينبغي لنا معالجتها، حتى ولو ألزمت الاشتراكية بالإنتظار قرنين من الزمان. هذا هو المقياس الذي تحدد بموجبه صحة الماركسية. ولا بد أن ننتجه الآن، من أن نبتكره. إننا ملزمون دائماً بالإبتكار.

-5-

إن هذا النقد المنتظم الذي التزمت به طوال حياتك النضالية قد استحث نقاشات غنية داخل حزبك... إلا أنه كان يثير تحفظات البعض، المتمسكين بإمتثالية متصلبة والمنزعجين إن مسّها أي بديل. لذا، فإنك في غالب الأحيان، لم تستطع الذهاب بتحليلك النقدي إلى أقصى ما كنت تتمنى، وبخاصة إبان السنوات التي تلت الإحتلال الإسرائيلي ... وإن أمكن لكل من نفاذ بصيرتك، وراديكاليتك أن تدلانك على مواطن الضعف في النضال الذي تطوّع فيه حزبك، إلا أن النقاش معه كان يواجه بالإنسداد. فإلى أية حيلة لجأت يوماً لتقول لأهل الحزب ما تفكر فيه؟ في نهاية جلسة للجنة المركزية، وبحضور كل القياديين، تصنعت حالة من السكر التام... ورحت تنطق بخطاب تصفهم فيه بكل النعوت، مديناً عجزهم وخمولهم وقصورهم وضيق استبصارهم.

-6-

لا بد لي هنا أن آستذكر رؤيتك في الشيوعية كما كنت تطرحها علينا بطريقتك البسيطة والمضيئة:

الشيوعية هي الحل الواقعي الملموس للمعضلات الواقعية الملموسة، التي تطرح نفسها في بلد معين وفي ظروف تاريخية محددة. وإن كانت لا تستطيع أن تأتي بمثل هذه الحلول، فلا حاجة لي بها. وإن لم تكن الشيوعية واقعاً فعلياً، فلا حاجة لي بها. ليست شيوعيتي شيوعية مفكر منصرف إلى التنظير الإيديولوجي. بل إنه ينبغي عليها أن تقوى على طرح المشكلات بطريقة صحيحة محكمة، وأن تبتدع لها حلولاً صحيحة محكمة تتلاءم بالواقع. كما ينبغي عليها أن تقوى على تحديد ماهية المشكلات المطروحة الآن، حتى ولو لم ينجز

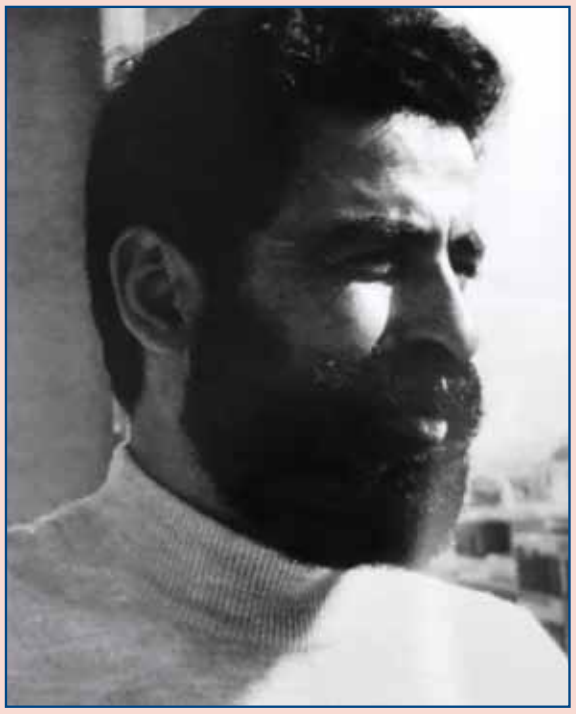

الإنتقال إلى الاشتراكية إلا بعد قرنين من الزمان. ولكي تكون الشيوعية صحيحة وسارية المفعول، لا بد من إنتاجها، لا بل ابتداعها. الشيوعية ما هي ماركس، ولا هي جورج مارشيه، ولا هي ماوتسي تونغ، ولا هي بريجنيف...

-7-

يحضر أخوك حسين محملاً برسالة يهمسها في أذنك: «إنك مهدد؛ يحتم عليك الحزب أن تتخذ الإجراءات الاحترازية اللازمة». إنها «الفتوى» الصادرة بحقك والتي لا تتوانى في قراءتها على مسامعنا. ولكن، بحركة لا مبالية من ظاهر يدك، مصحوبة باستهزاء مقتضب بالخطر المتربص بك، تطرد طيور الشؤم. إنه إنكار للموت. ... يصبح الكلام بيننا شبه مستحيل، لامتناع واحدنا عن الآخر، بسبب القلق المجنون الذي يتآكله، في انتظار أكثر فأكثر فزعاً مما يتعذر علينا تسميته أو الإفصاح عنه. ... في المنزل، تبدي انزعاجك من كل واحد منا، وتغتاظ من كل واحد منا. تنفصل عنا. تتقوقع في انكماشة بالغة الشدة إلى درجة يستحيل معها على أقربنا إليك، أياً كانت حميميته، قهرها.

-8-

يظهر فجأة رجل ملثم، يدنو منك منادياً: «دكتور حسن حمدان؟»

تستدير، وترى اليد الممسكة بالمسدس مسددة إليك، فتقبض عليها بعنف.

يندفع إذاك من السيارة آخر، وبمسدس مزود بكاتم للصوت يطلق الرصاص في الرأس والصدر والبطن.

نتزلق ارضاً. الدم سيّال.

التقدمي

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي

التقدمي العدد 135 ـ فبراير 2019 السنة السابعة عشر SDPA 499

مقبلٌ موعد
المهرجان الذي
نكتبُ الآن تاريخه

■ الشهيد سعيد العويناتي

الحلقة «6»

صندوق الذكريات

كيـف خلقـــت
الكتب والصحف وعينا الوطني؟

محمد نصرالله

حين تعود بي الذاكرة إلى سنوات دراستي في المدرسة الشرقية الابتدائية في خمسينات القرن الماضي، أذكر كيف كنا نحن التلاميذ نتلقف الكتب الأدبية وذات المنحى السياسي، حيث كنا نشكل خليطاً قادمين من مناطق مختلفة وكلنا رغبة وحماساً في تلقي العلم، لكننا لم نكن نكتفي بالدروس التي نتعلمها على أيدي أساتذنا عبر المناهج الدراسية المقررة، وإنما أيضاً عن طريق القراءة الخارجية في الكتب والمجلات والصحف، فنزداد علما وسعة في الأفق يتجاوزن ما تمنحه لنا مقررات المدرسة.

ومن بين تلك الكتب أذكر ترجمة لرواية مكسيم غوركي "الأم، وكان كلما قرأ أحدنا هذا الكتاب حوّله إلى زميل آخر له مباشرة حتى يبدأ قراءته وهكذا دواليك في حركة حية للكتاب بين الزملاء ليس في الصف نفسه فقط، وإنما يُحول أيضاً إلى الصفوف الأخرى حيث يقرؤه ه طالب ما ثم يحول إلى طالب آخر، ولا يقتصر الأمر على تلاميذ السنة الدراسية نفسها، بل أنه يحول إلى تلاميذ الصفوف الدراسية الأخرى الأعلى أيضاً.

وكان المدرسون يشعرون بالخجل حينما يناقشهم تلاميذهم حول الأفكار التي استلهموها من قراءاتهم الخارجية، فبعض هؤلاء المدرسين كانوا محدودي المعرفة، ولا تتعدى مهاراتهم نقل ما في المناهج الدراسية المقررة من معلومات، فيفاجئون أن تلاميذهم باتوا على إطلاع على أفكار ومعارف جديدة لم يسمعوا بها أو يقرأوا عنها من قبل.

ولذا فإن بعض هؤلاء المدرسين اتجهوا برغبة ولهفة أيضا لقراءة هذه الكتب واستيعاب محتوياتها حتى يستطيعوا مناقشة تلاميذهم حولها حين يتعرضون لمحتوياتها، فلا يبدون أمام هؤلاء التلاميذ بمظهر الجاهل بالثقافة، وكنا نلاحظ أن المدرسين بعد أن أخذوا في قراءة ما نتداوله نحن التلاميذ من كتب، فضلاً عن المجلات المختلفة صاروا يخوضون بسهولة في المناقشات التي تثار خاصة في حصة القراءة.

وكان من شأن ما كنا نقرأه أن يحسن من قدراتنا الكتابية التي نظهرها في حصة التعبير، أو الإنشاء كما كانت تسمى، حيث أخذنا نكتب التعليقات على الكتب أو نلخص الأفكار التي استوعبناها من قراءاتنا، وبدأت تدخل تعبيرات ومفردات جديدة في الذي نكتبه يعود الفضل فيها إلى قراءاتنا الخارجية. وكان هذا الأمر يشكل القاعدة التي تأسست عليها المجلات الحائطية التي كنا نحررها تحت اشراف أساتذتنا وتحظى باهتمام إدارة المدرسة، في شخص مديرها بالذات، الذي كان يتابع كل ما يكتب بعين الرضا.

وكان التلاميذ الذي لا صبر لهم على قراءة كتاب كامل يقدر عدد صفحاته بالمئات يلجأون إلى قراءة ما يكتب زملاؤهم الأكثر مثابرة من عرض أو تلخيصات لهذه الكتب، هي نفسها التي ينشر بعضها في مجلة الحائط، وهي تغطي دائرة واسعة من الاهتمامات حول الحياة الثقافية والاجتماعية والسياسية والتراثية وغيرها من مناحي الحياة المتعددة المنافع والأمزجة والأهواء، وكانت مجلات الحائط بمثابة نوع من النشاط الثقافي والأدبي في زمن لم تكن الصحف تتداول فيه على نطاق واسع كما أصبحت الحال في وقتٍ لاحق.

لم تكن اهتماماتنا هذه ونحن تلاميذ صغار بمعزل عن الوضع الثقافي الذي كان يسود في المنامة وفي البحرين عامة، ففي هذه الأثناء برزت إلى الوجود جريدة القافلة وجريدة الخميلة وجريدة الوطن وغيرها من الجرائد، كما كانت شركة "بابكو" تصدر نشهرتها الأسبوعية بعنوان "النجمة الأسبوعية" حيث كانت متداولة بين الناس جميعا في البحرين وليست مقتصرة على عمال وموظفي بابكو، حيث كانت تنشر بصورة موجزة أخبار البحرين وما يجري فيها من أنشطة، ومختلف أوجه الثقافة فيها وعن النوادي الثقافية والرياضية والتعليمية . وتعتبر «النجمة الأسبوعية» هي العين الراصدة التي تعكس جميع النشاطات والفعاليات في البحرين عند خلوها من أية صحافة أو نشرات أخرى متنوعة.

فعلى سبيل المثال فإن السلطات البريطانية أوقفت في الخمسينات صحيفة القافلة عن الصدور لأنها طرحت موضوعات لم تلق الرضا عنها، وبعد حين وافقت الحكومة على إصدار جريدة أخرى سميت بالوطن بدلا من القافلة. وعند إصدارها قال الشاعر الوطني المرحوم الأستاذ السيد رضي الموسوي في قصيدة قصيرة منشورة في ديوانه: "يقولون تصدر باسم الوطن / فقلت الحسين أخو الحسن".

ولذا فإن الجمهور قد أقبل عليها بشغف كبير خاصة أنها صدرت عن نفس الدار التي أصدر عنها الأستاذ علي سيار صحيفة "القافلة". إلى جانب ذلك كانت تصدر مجلة «صوت البحرين» المجلة الرصينة التي كان يكتب فيها كتاب وأدباء بارزون أمثال الأستاذ إبراهيم عبدالحسين العريض، الأستاذ حسن جواد الجشي، الأستاذ الزعيم السياسي عبدالرحمن الباكر، الأستاذ علي محمد علي التاجر، الأستاذ رضي سلمان الموسوي. وكانت بعض الكتابات تنشر باسم مستعار لامرأة وتدور حول شؤون المرأة وهمومها وأوضاعها المزرية التي كان كثير من الناس يحتقرها ولا يؤمن بتطورها ومساواتها بالرجل وإنما كانوا ينظرون إليها كأنها إنسان قاصر.

وفي وقت لاحق أخذت في الصدور النشرات السرية عن التنظيمات الوطنية، وبينها نشرة "الجماهير" لسان حال جبهة التحرير الوطني البحرانية التي تصدر شهريا وفي المناسبات الوطنية الكثيرة على مدار العام، وتتناول القضايا السياسية والمعيشية للجماهير، وتهتم أيضاً بنشر الأخبار ذات الصلة بأوضاع البلد وتعري الفساد والتجاوزات. وفي نطاق اضيق خاص بأعضاء الجبهة ومناصريها كانت توزع نشرة "الشرارة" التي تتضمن التوجيهات التنظيمية وتربي الأعضاء على قواعد الانضباط وتشرح لهم أساليب العمل اليومي المستمر، وطرق توعية الجماهير وحشد قواها وبلورة المطالب المتصلة بمصالحها، كما تحث "الشرارة" الأعضاء على الصمود في حال الاعتقال ومواجهة أشكال التعذيب، وصون أسرار التنظيم.

ومع توسع العمل التنظيمي وتشعب مجالاته وبروز قطاعات مختلفة داخله، في صفوف العمال والطلبة والنساء، أخذت جبهة التحرير في إصدار نشرات خاصة عن كل قطاع بينها: "صوت الطلبة" التي صدرت في الستينات باسم الاتحاد الوطني لطلبة البحرين الذي شكلته الجبهة سرياً في أوساط طلبة المدارس الثانوية والإعدادية وغيرها، وفي وقت لاحق صدرت نشرات "صوت المرأة" و«صوت العامل».